obeikandl.com

obeikandl.com

المرحلة السعودية

٣٦- الخروج إلى المملكة العربية السعودية

س متى خرجتم من سورية إلى السعودية؟

= كان خروجي بعد الانقلاب البعثي، وخروجي من السجن في سنة ١٩٦٤، بناء على طلب أمين الحافظ رئيس الدولة آنذاك، أن أخرج إلى لبنان، ولا بد لي من القول: إن أمين الحافظ كان معي شهماً، زارني في المعتقل عدة مرات، وهو رئيس جمهورية، ولا أدري ما دار بينه وبين رفاقه بشأني.

وصدر قرار بإطلاق سراحي، وبعد أيام دعاني إلى زيارته في القصر الجمهوري، وقال: يا أخي إنك لتعلم أني لم أقصّر معك، وعملت جهدي لأطلق سراحك، وأنت لا تكف عن مهاجمة ميشيل عفلق، فقلت له: يا سيادة الرئيس، أنا لا أتكلم إلا بالكلام المباح. فأنا طلبت نسخة من القرآن الكريم وأنا في زنزانتي في المعتقل، فأحضروا لي نسخة من كتاب عفلق الجديد(في سبيل البعث»، فقرأته ودونت الملاحظات التي تلفت النظر، وأنا في حديثي عنها أساعدكم في نشر المعلومات التي أوصلتموها إليّ. وأعطيته نسخة من تلك الملاحظات، وقلت له: هذا الذي أقوله وأنشره، لا زيادة فيه ولا نقصان، وما أتيت بشيء من عندي. وكان ميشيل عفلق في غرفة مقابلة للغرفة التي نجلس فيها، والأبواب مفتوحة، وقد أجلسني مقابل الباب، وكأن ميشيل عفلق أقبل

يريد الدخول إلى غرفتنا، فلم ألتفت إليه، وعرفت أن أمين الحافظ كان يريد أن يجري بيننا مصالحة، فقلت: لا أحب أن أسلم عليه. فقال: إذاً الأفضل أن تترك هذا البلد، قالها بلهجة التهديد. قلت له: سأخرج على أن أرجع؛ لأنهم كانوا قاطعين كل صلة بيني وبين ابني محمد الذي يدرس هندسة البترول الصناعية في ألمانيا، وقد قطعت كل مخصصاته، ورسائله لا تصل إلينا، ورسائلنا لا تصل إليه. فقلت أخرج وأجري اتصالات بابني ثم أعود بعد خمسة عشر يوماً وخرجت، ولم يسمحوا لي بالعودة. وهنا تدخّل الملك فيصل؛ إذ رآني خارج حدود بلادي، فأسل لي السفير مسعود الدغيثر، وكان ذلك في صيف ١٩٦٤، إذ استقرّيت في لبنان، بعد أن نودي بفيصل ملكاً.

وصادف أن الحاج أمين الحسيني دعا إلى مؤتمر مقديشو في العالم الإسلامي في أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٤، أيام حكم رئيس جمهورية الصومال آدم عثمان الذي كان من رجال التحرك الوطني في إفريقيا، وكان في تنظيمات قبل الاستقلال نائب رئيس المؤتمر عن إفريقيا. ولذلك لما استقلت الصومال دعا إلى عقد هذا المؤتمر ليكون في ضيافته. فذهبنا إلى الصومال، وكان المدعوون من كبار الشخصيات، يشكون مما ابتُلِي به المسلمون من استعمار وتبشير وفقر وجهل، وليس ثمة من يحس آلامهم أو يسأل عنهم. وجاء دوري في الكلام فقلت: إني لأجد أنفسنا أمام جدار المبكى، ونجد عنتاً ومشقة في الاجتماع لبحث شؤون المسلمين، فيجب أن نعمل على إجبار رؤساء الدول الإسلامية على الاجتماع ليسمعوا ما سمعناه من سوء أحوال المسلمين، وإن البترول في المناطق العربية بدأ يتدفق ويدرّ الخيرات، وسيفيض قريباً عن حاجتنا، فيجب أن نؤسس مصرفاً للتنمية. ونجمع الأموال لصرفها في تنمية المناطق التي بحاجة إلى التنمية، وتبقى هذه الأموال رصيداً دائماً لتنمية الوطن

العربي. إن الحكام لا يجتمعون في مؤتمرات القمة إلا إذا كانت لهم مصالح. أما مصرف التنمية والاستثمار فلا يستفيد منه إلا من يشترك في الجانب السياسي. والمصرف مستقل تماماً، يقدم لكل دولة حاجتها من المال، فيُوظّف في مشاريع استثمارية، وتردّ الدولة الأصل مع جزء من الأرباح. ونحن بحاجة أيضاً إلى وكالة أنباء عالمية؛ إذ العالم محكوم بخمس وكالات للأنباء هي: رويتر، فرانس برس، يونايتد برس، أسوشيتد برس، تاس الشيوعية. والأربع الأوائل وراءها يهود. وكل هذه الوكالات تذيع وتنشر ما يضرّنا، وتسكت عما ينفعنا. فيجب الضغط على الدول العربية والإسلامية للدعوة إلى تنفيذ هذا الاقتراح. فقام آدم عثمان وقال: أنا بصفتي رئيس دولة أتبنى الدعوة إلى الأخذ بهذا الاقتراح. ودعاني والحاج أمين الحسيني إلى اجتماع خاص وقال: نحن دولة فقيرة نالت استقلالها من قريب، وإمكاناتها محدودة. والآن نودي بفيصل ملكاً على العربية السعودية، فأرى أن يُعرض الاقتراح على فيصل ليتبنى الدعوة إليه، فهو أقوى وأقدر، فقلنا: لا مانع. وأبرق إلى الملك فيصل في الموضوع، فطلب فيصل أن يمر به كلّ من الحاج أمين الحسيني ومعروف الدواليبي.

ولما قابلناه قال: أنا على استعداد لتنفيذ هذه الأمور شريطة أن تبقى هنا في المملكة. قلت له: يا جلالة الملك، كنت بعثت إليكم في سنة ١٩٦٣ مع سفيركم عبدالرحمن الحميدي مبيناً المؤامرات التي تحاك حولكم. وقصصت عليه حديثي مع السفير الروسي وردّ خروشوف مفصّلاً كما سبق في ص ١٦١، وفيه: «أنا لا أثق بعبدالناصر، أنا أثق بحيادك، أنت خائف على دولة الإيمان من دولة الإلحاد. أخبرك أن أمريكا اتفقت مع عبدالناصر أن يحتل اليمن والسعودية والأردن وسورية ولبنان». فقال فيصل: أنا لا أسمع الكلام. وإني أتعاون وإياك وتنفذ ما ييسره الله. وتعاونّا وقمتُ بتحركات خاصة أزالت

العوائق، وهيأت الموقف الدولي تجاه أمريكا، إذ كنتُ أثناء حكمي على تفاهم مع كنيدي الذي قُتِل بسبب هذا التفاهم. وجاء بعده جونسون، وكان يعرف رأيي. وكان لابد من التفاهم مع جونسون لنضمن جانب أمريكا قبل أن يقوم الملك فيصل بتحركاته. ولذلك قلت للملك فيصل: إن تحركك تحرك إسلامي سيغضب اليهود والدول العلمانية، وسيعملون جميعاً على إحباطه.

وقمت برحلة سرّية إلى بيروت قابلت فيها مندوب جونسون، وأفهمته خطر الشيوعية على المنطقة، وجونسون يعرف أنني ضد الشيوعية، وأعطيته معلومات خطيرة جداً، ما كان مطلعاً عليها، وبينت له أن لا أحد يستطيع أن يقف أمام المدّ الشيوعي إلا الإسلام؛ وإذا كان هناك خمس مئة مليون صيني قد صاروا شيوعيين الآن، فنحن لدينا ٦٠٠ - ٧٠٠ مليون مسلم من أندونيسيا إلى الرباط شرقاً وغرباً، ومن جنوب إفريقيا حتى أواسط روسيا، يمكن أن يقوموا بتحرك إسلامي يقف في وجه الشيوعية. ثم أعطيته معلومات عن التحرك الشيوعي وانتقاله إلى البحر الهندي، وضم زنجبار الإسلامية إلى نيريري الشيوعي، وهي قاعدة للجيش السوفيتي ضد دول البترول، وهذا ما لم يكونوا متنبهين إليه من قبل، فأُعجِب بكشف هذه المخاطر، وقال: ما العلاج؟ قلت: العلاج أن نقوم بتحرك إسلامي. ولكننا إذا قمنا بهذا التحرك نخشى أن تقولوا: إسلام، وفتح إسلامي، ويتحرك اليهود ليشوّهوا تحركنا. ولذلك نحن لن نتحرك إلا إذا أدركتم واقتنعتم أنكم تستفيدون من تحرّكنا، ونحن نستفيد منه أيضاً. وذهب المندوب، وعاد ليقول: نحن معك في هذه الفكرة، ولكن نريد أن نعرف شخصاً يقوم بهذا التحرك الإسلامي؛ فنحن لا نستطيع القيام به، ولا نرى أحداً جديراً بحمل هذه الفكرة. قلت له: نستعرض رؤساء الدول من الرباط إلى أندونيسيا. كل حاكم نشاطه مقتصر على إقليمه. إلا المملكة

العربية السعودية، فإذا استطعنا إقناع عاهلها كان ذلك نجاحاً لمشروعنا؛ فهو يمتاز على غيره بوضعه الجغرافي ووضع دولته الإسلامية؛ فالناس يَفِدون إلى الحج من مشارق الأرض ومغاربها، وبحكم هذا الموقع الجغرافي لا يوجد غير السعودية. ولكن هل تقبل؟ وقلت له: أنا لا أستطيع أن أفاتح أحداً إلا بعد أن تقولوا: نعم، حسبي أنني عرضت عليكم الفكرة، وهي العلاج الناجع أمام الشيوعية. ولم أقل له: فيصل هو الأجدر والأصلح، فقال: نحن موافقون. عندئذ ذهبت إلى فيصل، وقصصت عليه ما دار بيني وبين مندوب جونسون من أحاديث. واقترحت عليه أن يبدأ بغير العرب. فلما دعي لتنفيذ الفكرة قام بزيارة إيران، وأحدثت زيارته ضجة وتحركاً إسلامياً، ولأول مرة خطب فيصل في الدعوة الإسلامية، وكان الشّاه ليس بعيداً عن الفكرة وتأثّر بها، ولاقت دعوة فيصل ارتياحاً لدى المشايخ وثناءً ثم زار تركية، ودخل إلى إفريقيا في حين كان جمال عبدالناصر يضع في جدول أعمال الوحدة الإفريقية قضية فلسطين فتحذف بمساعي أمريكا واليهود. فلما فهمت أمريكا أن الإسلام هو الذي يقف في وجه الشيوعية أزالت العقبات من طريق المسلمين، وسمحوا لفيصل أن يتحرك ويدخل إفريقيا.

وذهب فيصل إلى إيران وتركية، ثم زار جونسون، وتكريماً له لأنه قام بهذا النشاط عزل جونسون كل العناصر اليهودية من السي آي إي، ولما أراد التحرك في إفريقيا بدأ بمقدمات فأرسل رسائل إلى دول إفريقيا، ثم قام بجولة فيها، وما كاد ينتهي من جولته التي استمرت شهراً حتى سحبت خمس وأربعون دولة إفريقية اعترافها بإسرائيل، في حين ما كان جمال عبدالناصر يستطيع إدراج قضية فلسطين في جدول أعمال الوحدة الإفريقية. وهذا مع تحريك اليهود لأمريكا ومقاومتهم لمساعي الملك فيصل.

٣٧- مع الملك فيصل

س ماذا تذكرون من ملامح شخصية الملك فيصل رحمه الله، ودعوته للتضامن الإسلامي وانعكاساتها، وموقفه من كسينجر حينما طاف بالبلاد العربية.

= لقد أظهرت لي المدة التي قضيتها معه - رحمه الله - أنه كان رجلاً مسلماً متفهماً أوضاع المسلمين، بعيداً عن المظاهر وحب الدنيا والزعامة والرئاسة، كانت دعوته لي إلى المملكة بإلحاح صادق، واتجهنا بعد مجيئي إلى تقوية جهاز الديوان الملكي وإقامة نظام شورى إسلامي، يشترك فيه الشعب في التعبير عن رأيه، وذلك بوضع دستور، وكان يمتلئ اقتناعاً بذلك وكان لابد من أن نبدأ أولاً في تنظيم الديوان، وملئه بالأشخاص الأكفاء، ولابد من إيجاد عناصر متعلمة مثقفة؛ لأن الدولة تقوم على بضع عشرة وزارة، وقد تصل إلى عشرين، وهذه الوزارات ترفع تقاريرها إلى الديوان، ولم يكن في الديوان في ذلك الحين العدد الكافي من العناصر الأكفاء، ومن هنا كان لابد من الاستفادة من الفئات العائدة من التعلّم، وفكرت بالاستفادة من أولاد الملك فيصل الذين جاؤوا متعلمين، ولكنهم ينصرفون إلى الأعمال التجارية، فمنعني قائلاً: أنت تريد أن تضع أولادي في الديوان لأنهم متعلمون، ولكن سيأتيني بقية الأمراء مطالبين بوضع أبنائهم كما وضعت أنا أبنائي، وليس كل الأمراء متعلمين، ولذلك كان يلح عليّ ألا يدخل ابنه في الديوان الملكي. وكنت أقدّر أن ابنه سعود الفيصل شاب متعلم، وقد أدى خدمات طيبة على مدى سنوات في وزارة الخارجية، ومع ذلك ما قبل إلا أن يدخل موظفاً تابعاً لوزير البترول.

وإني لأذكر الآن أنه جاء إلى والده في إحدى الفرص الثانوية يستأذنه بالسفر، فانتهره وقال له: أنت لست مرتبطاً بي. أنت مرتبط بوزيرك، اذهب

فاستأذنه. فقال: يا سيدي الوالد، أنا استأذنت وزيري، ولكن ألا يتوجب عليّ أن أستأذن والدي أيضاً؟

كانت فكرة النظام والتعفّف وتقويم كفاءة المتقدم لاستلام الوظيفة، بحيث لا يصل إليها إلا من يستحقها، كان هذا كله من أبرز صفاته وتصرفاته. يضاف إلى هذا إيمانه وتضحياته وتفانيه في خدمة الإسلام والمسلمين. ولقد عرفته في المرحلة التي تجاوز فيها السبعين من العمر مثلاً نادراً في عصره، تحمّل كل الصدمات التي واجهته في الدعوة إلى التضامن الإسلامي بعد أن وافق على تحمل مسؤولية هذه الدعوة، وكانت الشيوعية ضده وعبدالناصر ضده، وكنا نخشى قبل البدء من مؤامرات الغرب واليهودية العالمية المؤثرة على أمريكا، وكانت المصلحة تقضي أن نزيل العقبات، وتمكّنا بوسائل مشروعة وطيبة أن نزيل العقبات ونتجنب الحماقات التي كان يمكن أن تثيرها إسرائيل في الجانب الغربي، وكان الموقف صعباً.

ولذلك ركّزنا على الناحية الخطيرة، وهي الانقلابات اليسارية كلها. والاشتراكية كانت في ظاهرها من أجل إنقاذ فلسطين، وكلما انتشرت الاشتراكية ذهب جزء من فلسطين، حتى ذهبت كلها، وكل ذلك بفضل الشيوعية، فلابد من إعادة الروح الإسلامية، وهذا ما كان يفعله الرجل مندفعاً إليه بصدق وأمانة وإخلاص، وبكثير من الروية والحكمة حتى إنه استطاع بجولته الإسلامية في إفريقيا أن يحمل خمساً وأربعين دولة فيها على سحب اعترافها بإسرائيل، في الوقت الذي ما كان عبدالناصر يستطيع أن يضع قضية فلسطين في جدول أعمال منظمة الوحدة الإفريقية. لقد هيأت له الحكمة التي كان يتحلى بها الأسباب، وفتحت له الأبواب، وأزالت الصعاب،

وكان يقابل السيئة التي تُوجَّه إليه من عبدالناصر بالحسنة، فقد كان عبدالناصر يسب ويشتم فيصل بعد حوادث اليمن، وضرب السعودية، ولكن الضربة التي نزلت بعبدالناصر سنة ٦٧ كانت قاسية، فطلب عقد مؤتمر قمة وطلب مساعدات؛ لأنه دون مساعدات لا يستطيع الصمود، وأنا أعرف ولا أريد أن أسمي من كان إلى بجانبه من البلدان العربية عدا المملكة العربية السعودية التي كان يسبّها ويشتمها؛ ولذا كان أول المعتذرين لها.

ومع ذلك قال فيصل لجمال عبدالناصر: أنا مستعد أن أعطيك ما تريد، فدُهِشَ عبدالناصر. وهكذا كان الملك فيصل رحمه الله يتغلب على نفسه ويرجح المصلحة العامة، أما مجيء كسينجر إلى البلاد العربية فكان لاستطلاع آرائها، وإيجاد حل للقضية الفلسطينية بعد صدور القرار (٢٤٢)، ولما قابل فيصلاً كان جوابه: أنا ما عندي حل إلا حق تقرير المصير للفلسطينين، ولو أن الفلسطينيين كلهم قبلوا الصلح ما قبلتُ أن أصالح، لأن إسرائيل خطر على الإسلام والمسلمين. أما حق تقرير المصير فمن حق الفلسطينيين، وأما القدس بصورة خاصة ثالث الحرمين فأنا أطالب بها. وقال له كسينجر: أنا طفت العالم العربي فما وجدت أحداً يذكر القدس غيرك. وكنا نسمع أنه يرجو الله أن يموت شهيداً في سبيل القدس، وقد استجاب الله دعوته وذهب شهيداً رحمه الله. وقد كان عمر (رضي الله عنه) يتمنى الشهادة، فسأله بعض الصحابة: كيف تتمنى الشهادة وأنت أمير المؤمنين؟ وكان أن رُزِق الشهادة. ولقد كان فيصل يتمنى الشهادة في سبيل القدس، فجاءته الشهادة.

إنه رجل نادر في هذا الزمن الأخير. بحسن تدينه ورويته واتزانه، كان جذاباً في حديثه مع مخاطبيه، ما جلس إليه رجل من كبار الشخصيات

الأجانب إلا وخرج متأثراً بشخصيته حتى إنه ليكاد ينقلب شخصاً آخر. ولقد حضرت آخر خطاب له قبل وفاته بسنتين تقريباً بعد حرب ١٩٧٣ لما جاء نيكسون وألقى كلمة في أزمة البترول، وكان الناس متخوفين من منع البترول عن الغرب، قال نيكسون يومذاك: يقول الناس إنني جئت من أجل البترول. نعم، إن لنا مصلحة بالبترول، وأؤكد لكم أنني لن أطب البترول إلا بالسعر العالمي. ولكن الشيء الذي يهمني وجئت من أجله هو أن أقتبس من حكمة هذا الرجل.

لقد ترك الملك فيصل رحمه الله في نفسي فكرة واضحة عن زهده في الحكم، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يشوب عمله بشائبة، وعن تفانيه في خدمة القضايا الإسلامية في كل مكان.

٣٨- الملك فيصل وديغول

س كنت سمعت منكم عن لقاء الملك فيصل بديغول، واستطاعته أن يغيّر رأي ديغول وموقفه من إسرائيل ودعمها بالسلاح، فكيف توصّل إلى ذلك؟

= أنا لي تجربة مع ديغول من يوم قضية استقلال سورية، فمع أنه كان محاطاً بعناصر يهودية، ومع أنه ضرب دمشق لم يلبث إذ اطّلع على المذكرة التي قدمتها إليه عن استقلال سورية وأن إعلان هذا الاستقلال في مصلحة فرنسا، لم يلبث أن اقتنع بالفكرة وقلب موقفه رأساً على عقب، كما سبق بيانه في حديثي عن استقلال سورية. كذلك تغير موقفه من الإفراج عن الحاج أمين الحسيني بعد أن اقتنع بصواب الفكرة. فديغول عندما يعرف الحقيقة يغيّر مواقفه؛ ولذلك كنت حريصاً على تدبير لقاء الملك فيصل به، وألححت في ذلك وأصررت.

ولكن كان للملك فيصل وأخيه الأمير خالد آنذاك موقف من ديغول، كانا ينفران من الاجتماع به لسبب، سيأتي بسطه فيما يأتي.

في نهاية الحرب العالمية الثانية دعت أمريكا الملك عبدالعزيز لزيارة الجبهة في مطالع سنة ١٩٤٥، وكانت أمارات النصر واضحة للحلفاء، وما كان الملك عبدالعزيز يحب الخروج من المملكة، فأرسل ابنيه فيصلاً وخالداً، وكانا في الثلاثينيات من عمرهما. فسارا من جدة إلى نيويورك بعيداً عن خطر القتال. ومن أمريكا نزلا إلى إنكلترا فدخلا لندن، وكان في جملة الزيارات زيارة ديغول لما كان في لندن يقود الحرب في باريس بإذاعة خاصة. ولما دخلا عليه مكتبه الصغير حيّاهما وصافحهما في شيء من الجفاء؛ لأنه كان محاطاً بعناصر يهودية تشوّه سمعة العرب، وكان مسيحياً متديناً، يعتقد ديانةً أن اليهود شعب الله المختار؛ ولذلك سلّم الوكالة اليهودية في نهاية الحرب وفي الجبهة الغربية ستين قاطرة من الأسلحة والذخائر قبل أن تقوم إسرائيل، وفتح لليهود مدرسة لتدريب الجنود ومدرسة لتدريب الضباط ومدرسة للبحرية ومدرسة للطيران، وبذلك ساعد إسرائيل قبل أن تنشأ مساعدة قوية عقب الحرب في سنة ١٩٤٥، وإسرائيل قامت سنة ١٩٤٨، ولقد كانت ميوله واتجاهاته مع إسرائيل، يعززها ما كان يحيط به من كبار الشخصيات اليهودية الفرنسية وغير الفرنسية. وكنت أعرف هذا تماماً، وأعرف أن اندفاعه نحو إسرائيل اندفاع عقيدة؛ ولذلك كنت ألحّ على الملك فيصل أن يقابله، ليقيني أن ديغول إذا عرف الحقيقة فسوف يتغيّر. وكنت أريد أن أوجد عند ديغول هذا الاستعداد، وكان قد خرج على الميثاق الأطلسي من الناحية العسكرية كرهاً بأمريكا وإنكلترا، وراح يقوي علاقته بستالين، وينظر إلى العرب أنهم أصبحوا

في جبهة عربية موالية لإنكلترا، والمملكة العربية السعودية على صداقة مع أمريكا، وبقدر انجذابه للشرق كان يكره كل من يتجه أو ينجذب إلى أمريكا.

وكنت أصرّ على فيصل وخالد لتحقيق هذه المقابلة. إلى أن حدثت حوادث ساعدت على ذلك حينما فكر عبدالناصر بحرب سنة ١٩٦٧، وهي الحرب المعروفة بحرب الستة أيام، وانسحب البوليس الدولي، وراح عبدالناصر يمشّي جيوشه في صحراء سيناء، وأخذ الناس يتحدثون عن حرب واقعة ما بين عشية وضحاها، في تلك الأيام وُجِّهت الدعوة لفيصل لزيارة إنكلترا، ومنها إلى بروكسل. وكان ديغول يرى نتيجة المساعي التي بذلتُها ألا تكون دعوة رسمية لفيصل، وإنما يخرج من بروكسل، ويمرّ وهو في طريقه بديغول، فيتغدّى عنده، فرفض فيصل أن تكون زيارته زيارة مرور؛ لأن الناس يتحدثون عن الحرب، وهو في بروكسل، ومن الطبيعي أن يمر به في باريس، وهو في طريقه إلى الرياض، وبذلك تكون زيارة عابرة؛ ولذلك يرى فيصل أن يتجاوز باريس إلى جنيف، ويأتي من جنيف إلى باريس، وبذلك يُقال: إنه مدعوّ، وليست زيارته مروراً عابراً. وهذا الذي تَمّ، فقد جاء من جنيف إلى باريس قبل ٥ حزيران ١٩٦٧، في اليوم الأول أو الثاني منه، وكان اللقاء على غداء فقط. وكان ديغول يراعي الحِمْية في الطعام والشراب والنوم وأوقاته منضبطة محدّدة؛ ولذلك استقبله قبل نصف ساعة من الغداء بالضبط في قصر الإليزيه، وكان مع فيصل الأمير سلطان والدكتور رشاد فرعون. وطلع فوراً إلى اللقاء، رأساً لرأس، ولا يوجد معهما سوى مترجم من عند ديغول قال ديغول: يتحدث الناس بلهجة متعالية أنكم يا جلالة الملك تريدون أن تقذفوا بإسرائيل إلى البحر. إسرائيل هذه أصبحت أمراً واقعاً، ولا يقبل أحد في العالم رفع هذا الأمر الواقع.

فأجابه فيصل رحمه الله: يا فخامة الرئيس، أنا أستغرب كلامك؛ إن هتلر احتل باريس وأصبح احتلاله أمراً واقعاً، وكل فرنسا استسلمت إلا أنت! فانسحبت مع الجيش الإنكليزي، وبقيت تعمل لمقاومة الأمر الواقع حتى تغلّبتَ عليه. وألمانيا تنتهز الفرصة من وقت لآخر لخلافها معكم على منطقة الألزاس واللورين. كلما احتلتها وقف الشعب الفرنسي ينتظر حرباً عالمية ليستعيدها، فلا أنت رضخت للأمر الواقع ولا شعبك رضخ؛ فأنا أستغرب منك الآن أن تطلب مني أن أرضى بالأمر الواقع. والويل عندئذ يافخامة الرئيس للضعيف من القوي إذا احتلّه القوي وراح يطالب بالقاعدة الذهبية للجنرال ديغول أن الاحتلال إذا أصبح واقعاً فقد أصبح مشروعاً.

فدهش ديغول من سرعة البديهة والخلاصة المركّزة بهذا الشكل، وكان ديغول لم يستسلم ويتراجع، وإنما غيّر لهجته متأثراً بما سمع، وقال: يا جلالة الملك، لا تنسَ أن هؤلاء اليهود يقولون: إن فلسطين وطنهم الأصلي، وجدهم الأعلى إسرائيل وُلِد هناك. قال فيصل: فخامة الرئيس أنا من الأشخاص الذين يعجبون بك ويحترمونك؛ لأنك رجل متدين مؤمن بدينك، وأنا يسرني أن ألتقي بمن يخلص لدينه، وأنت بلا شك تقرأ الكتاب المقدس. أما قرأت أن اليهود جاؤوا من مصر غزاة فاتحين، حرّقوا المدن وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، ما تركوا مدينة إلا أحرقوها، فكيف تقول إن فلسطين بلدهم، وهي للكنعانيين العرب. واليهود مستعمرون. وأنت تريد أن تعيد الاستعمار الذي حققته إسرائيل منذ أربعة آلاف سنة، فلماذا لا تعيد استعمار روما لفرنسا الذي كان قبل ثلاثة آلاف سنة؟ أنصلح خريطة العالم لمصلحة اليهود، ولا نصلحها لمصلحة روما عندما كانت تحتل فرنسا والبحر الأبيض كله وإنكلترا أيضاً؟ ونحن العرب أمضينا مئتي سنة في جنوب فرنسا، في حين لم يمكث

اليهود في فلسطين سوى سبعين سنة ثم نفوا بعدها. وهذا مثال تاريخي أيضاً. قال ديغول: ولكنهم يقولون: في فلسطين وُلِد أبوهم. قال فيصل: غريب!! عندك الآن مئة وخمسون دولة لها سفراء في باريس، وأكثر السفراء يولد لهم أولاد في باريس، أفلو رجع هؤلاء السفراء إلى بلادهم، ثم جاءت ظروف صار فيها هؤلاء السفراء رؤساء دول، وجاؤوا يطالبونك باسم حق الولادة بباريس، فمسكينة باريس، لا أدري لمن ستكون؟!

هنالك، سكت ديغول، وضرب الجرس مستدعياً بومبيدو، وكان جالساً مع الأمير سلطان والدكتور رشاد فرعون في الخارج، وقال له: الآن فهمت القضية الفلسطينية، أوقفوا السلاح المصدَّر لإسرائيل. وكانت إسرائيل تحارب بأسلحة فرنسية وليست أمريكية. صحيح أنها أخذت سلاحاً من السوفييت، ولكن سلاحها في معظمه كان فرنسياً، ولا سيما الطيران، وكان متقدماً. وهكذا قُطع السلاح الفرنسي عن إسرائيل منذ ذلك اليوم من عام ١٩٦٧ قبل الغزو الثلاثي لمصر بأربعة أيام.

واستقبلنا الملك فيصل في الظهران عند رجوعه من هذه المقابلة، وفي صباح اليوم التالي ونحن في الظهران أُعلِن الغزو، فاستدعى الملك فيصل رئيس شركة التابلاين الأمريكية، وكنت حاضراً، وقال له: إن أي نقطة بترول تذهب إلى إسرائيل ستجعلني أقطع البترول عنكم. ولما علم بعد ذلك أن أمريكا أرسلت مساعدة لإسرائيل قطع عنها البترول، في حين لم تقطع عنها البترول العراق، ولم يكن صدام هو الرئيس بل كان هو المسيطر، كما لم تقطع البترول كلٌّ من الجزائر وليبيا. الذين قطعوا البترول هم عرب الخليج فقط. وقامت المظاهرات في أمريكا، ووقف الناس مصطفين أمام محطات الوقود، وهتف

المتظاهرون: نريد البترول ولا نريد إسرائيل، وهكذا استطاع هذا الرجل بنتيجة حديثه مع ديغول، وبموقفه البطولي في قطع البترول أن يقلب الموازين كلها.

٣٩- مع سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم

س كان المفتي في عهد الملك فيصل الشيخ محمد بن إبراهيم. هل يمكن إلقاء الضوء على شخصيته؟ وهل قمتم بمساع توفّقون فيها بين مواقفه وبين متطلبات الدولة؟

= في أول مجيئي كانت مشكلة قانون التأمينات قائمة، إذ كان المشايخ معترضين عليه؛ لأنه يضمن للعامل تعويضات حسب مرتّبه الذي كان يتقاضاه في عمله، وعند إصابته أو موته يتقاضى هذا التعويض بنسبة راتبه. وكان هذا مخالفاً للشريعة في نظرهم؛ لأن الديات في القتل يتساوى فيها الصعاليك والملوك، والدماء متساوية؛ ولذلك اعترضوا على ما يمنح العامل المصاب من تعويضات تتناسب مع راتبه، ولا تتناسب مع دمه. وقدموا مذكرة في ذلك بتوقيع الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد. هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية فوجئنا أيضاً بقضية الأوسمة. فقد كان الملك عبدالعزيز ينوي إصدار قانون الأوسمة، فاعترض العلماء وحالوا دون صدوره بحجة أن ذلك بدعة، وفي عهد الملك سعود كانت الأوسمة تعطى دون نظام. فلما جئت إلى المملكة حدثني الملك فيصل عن اعتراضات العلماء على الأوسمة، فأقنعته بجوازها وأنها ليست بدعة.

ووضعنا نظاماً خاصاً بالأوسمة، وأرسله الملك إلى الشيخ محمد بن إبراهيم، فردّ المفتي أن هذا بدعة، وكل بدعة ضلالة. وأطلعني الملك فيصل على الردّ. فقلت له: هذا غلط، فقال: أتذهب إليه وتراه، فقلت: بعد أن تكتب

إليه، كي لا يقول: هذا الأفندي جاء يعلمني! وقد يطردني. ولكن اكتب له أنت بأني ذاهب إليه باسمك، فردّ عليه أن فلاناً قادم إليك، وأبلغ ابنه الشيخ إبراهيم الذي كان يمسك الفتوى، وذهبت إليه على موعد بعد صلاة العشاء، ودخلت عليه بعد الصلاة، فكان متجهماً؛ لأنه علم أن الملك أرسلني لمناقشته، وفي نفسه أن أرسل إليه شخصاً من الغرباء ليناقشه في قضايا الشرع. وكان هذا اللقاء سنة ١٩٦٥م.

س ألم يكن بينك وبينه معرفة من قبل؟

= كان لي به لقاء قبل عشر سنوات، في سنة ١٩٥٥م لما زرت المملكة وأنا عضو في لجنة الشؤون الخارجية السورية، بمناسبة حلف بغداد، إذ قامت هذه اللجنة بزيارة البلدان العربية، وكانت مؤلفة من مختلف الأحزاب والاتجاهات، فيها أكرم الحوراني وصلاح البيطار، والأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا ممثلاً الكتلة الإسلامية في البرلمان السوري، وكنا خمسة عشر شخصاً.

أما اللقاء الثاني فكان من أجل قانون الأوسمة. فلما ذهبت لمذاكرته قال: ماذا عندك؟ قلت: أنا أحب أن أسمع منك. قال: هذا النظام بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ولتسلكن سبل مَنْ قبلكم... ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه...إلخ، وأسهب في النقول عن الأئمة والمذاهب في تقرير البدعة، وأحاط بأقوال العلماء فيها، فدلّل على غزارة علمه وقوة حافظته وإحاطته بجميع الآراء في هذه المسألة، وبعد ساعة من استرساله في الحديث وأنا أستمع إليه بكل أدب وقف عن الكلام، فقلت له: هل بقي لديك شيء؟ فإذا هو يستشيط غضباً ويقول: أكل الذي سمعته غير كافٍ؟ قلت: يا سماحة الشيخ، أنا لا أقول: إنه غير كافٍ، ولكن أحببت أن أستمع إلى كل ما عندك، لأجيب

عنه بكلمات محدّدة ومرّة واحدة، ولا أريد أن أتكلم مرتين. قال: لا، هذا هو الذي عندي. قلت له: أنا أكفيك الأمر. فالرسول ﷺ الذي قال: كل بدعة ضلالة، هو الذي قال: من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها.. إلخ فلماذا تعدّها بدعة، ولا تعدّها سنة حسنة؟ الأمة الإسلامية كلها عدّتها سنّة حسنة، ولم يبق إلا أنت مخالفاً لإجماع الأمة. ثم إن فكرة الأوسمة موجودة في القرآن الكريم. قال: أعوذ بالله. قلت له: اسمع التفصيل:

الأصل في الأوسمة أنها كانت ألقاباً تُمنَح لمن أحسن في عمله، ليكون أسوة يقلده الناس. وفي القرآن الكريم أن الله تعالى أقام الجنة لمن أحسنوا، وأقام النار لمن أساؤوا. وفي الدنيا الأمر كذلك، أيُعقَل أن نجعل المحسن مثل المسيء؟ فالطالب في المدرسة إذا جدّ واجتهد تعطيه المدرسة بطاقات مديح تشجعه فيها على مزيد من الإحسان والاجتهاد. وهذا كله تقضيه المصلحة. والقرآن الكريم والشريعة يَقضيان بألا نعامل المحسن كالمسيء، ومن الأحسن والأفضل أن نحمل الناس على أن يقدّموا ما عندهم من خير. وهذه الأوسمة اليوم كانت في التاريخ ألقاباً تُمنَح للمحسنين، ثم صارت تُورَّث، وتتسلسل، فوجدوا أن هذه الألقاب لا يجوز أن تُورث وتتسلسل، ولا يجوز أن يحملها إلا من صدر المرسوم له. ونحن في الإسلام عندنا القضيتان: القضية الأولى: الألقاب في القرآن. والقضية الثانية: الألقاب والأوسمة في السنة النبوية.

أما الألقاب في القرآن، فنجدها بدءاً من سيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن افتُتِن بابنه الذي رُزقه بعد ثمانين سنة، وأراد الله أن يمتحنه، فأراه الرؤيا المعروفة أنه يذبحه، فلما صدّق الرؤيا، وهم بذبح ابنه، افتداه ربه بذبح عظيم، وقال له ربه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ وأطلق عليه منذ ذلك اليوم

خليل الله؛ لأن حبّ الله عنده كان فوق كل ما لديه في الدنيا من والد وولد وأم...إلخ

وأما الألقاب والأوسمة في السنة النبوية، فقد أعطى الرسول ﷺ لقب الصدّيق لأبي بكر، ولقّب عمر بالفاروق، لأن أعماله وتصرفاته تفرق بين الحق والباطل. وأعطى لأبي عبيدة بن الجراح لقب أمين هذه الأمة، ولخالد بن الوليد لقب سيف الله. هذا من جهة الألقاب. أما الأوسمة، فالشاهد عليها ما روته كتب الحديث والسيرة من أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحمل الزاد وأخبار القوم للرسول ﷺ وأبيها، وهما في الغار. ولما نهضت لتربط سفرة الزاد والسّقاء لهما لم تجد شيئاً تربط به سوى نطاقها، فشقته باثنين، ربطت بواحدة سفرة الزاد، وبالآخر السِّقاء؛ ولذلك سُمِّيَتْ بذات النطاقين. فإطلاق هذه التسمية عليها وسام. قال المفتي: هذا رأيي. وسمع الملك فيصل ما دار بيننا من حوار، وأصدر مرسوماً بنظام الأوسمة والألقاب.

٤٠- عودة إلى الملك فيصل

س هل لكم ما تقولونه حول علاقتكم بالملك فيصل وما رافقها من مواقف وذكريات؟

= كنت من أقرب الناس إليه، وكنت أحمل الملفات التي تحتاج إلى دراسة، قادمة من وزارة الخارجية أو المالية أو الجهات القضائية، وألخصها وأبدي رأيي فيها؛ لأن الملك لا وقت لديه للقراءة.

س هل كانت هذه التقارير عن سير العمل في الوزارات، أو كانت في القضايا التي ترفع إلى الملك؟

= كانت تحمل قضايا يجب أن يعرفها الملك، يطلع عليها أو يحيلها إلى مجلس

الوزراء، وكان يستشيرنا في هذه القضايا، وفيما يحيله إليّ كنت ألخصه وأبدي رأيي فيه. وقد اكتشفنا وجود كثير من الأخطاء. وكنت أعرض الأوراق بعد دراستها على الدكتور رشاد تقديراً له، وترفع بتوقيعه، ولكن الدراسة كنت أنا الذي أقوم بها وبخاصة إذا كانت تتعلق بأمور قضائية؛ ولذلك قال الملك للدكتور رشاد: الآن صار عندي مراقبة، هذا ما قاله لي الدكتور رشاد. ولكن هذا أحدث ردود أفعال. ومثال ذلك: جاء وكيل وزارة الخارجية، ووزارة الخارجية كانت في يد الملك، جاء موجهاً كتاباً إلى الملك أن الجامعة العربية كتبت إلينا تقول: إن معاهدة الحصانة الدبلوماسية للموظفين في الجامعة العربية الصادرة سنة ١٩٥٨ وقعتها الدول العربية كلها إلا المملكة العربية السعودية، فهي وحدها فقط لم توقعها، والمطلوب السماح له بالتوقيع على هذه المعاهدة. فبعث إليّ الملك فيصل وسألني عنها، فقلت له: لا أستطيع أن أقول بتوقيعها حتى أراها فهذه اتفاقية.

وطلبنا في ردّنا أن ترسل لنا الاتفاقية لنراها، وبعد شهر أرسل لنا وكيل وزارة الخارجية ملفّاً مؤلفاً من ٣-٤ آلاف صفحة، مربّطاً بخيطان، استحال لونه من القدم إلى لون أصفر من تأثير القدم والحرارة، وأخذت الملف وفتحته وشرعت في قراءته، فتبين لي منذ البداية أن القرار صادر في الحصانة الدبلوماسية لموظفي الجامعة العربية برتبة (دبلوماسي) سنة ١٩٥٣ أيام الملك عبدالعزيز، وليس في سنة ١٩٥٨، وبقرار من الجامعة العربية أن أول دولة وقّعته هي المملكة العربية السعودية!! فقلت في نفسي: لعل هذا القرار أُلْغِي فيما بعد، ورحت أقرأ وأقرأ حتى الفجر تقريباً، فما وجدت إلغاءً. فجئت إلى الدكتور رشاد وقلت له: أنتم موقعون على هذه المعاهدة قبل جميع الدول العربية. فإذا علم الملك ذلك فماذا سيفعل بالمسؤول عن ذلك قال: ما العمل

الآن؟ قلت: نطلب الخطاب الذي أرسلته الجامعة العربية إلينا بعدم توقيع المملكة. وطلبناه فأُرسل إلينا الخطاب، فإذا هو تعميم فيه أن ملحقاً للاتفاقية الصادرة سنة ١٩٥٣ وُقِّع من جميع الدول العربية ولم تبق إلا المملكة العربية السعودية لم توقعه، وهو ملحق مكوّن من ثلاثة أو أربعة أسطر صادر في سنة ١٩٥٨، فلما أرادوا الاختصار أغفلوا كلمة (ملحق) وذكروا الاتفاقية الصادرة في سنة ١٩٥٨ وهذا التاريخ الملحق كما هو واضح، وليس تاريخ الاتفاقية، وتبين وجود ثلاثة أو أربعة أخطاء في ثلاثة أو أربعة أسطر. والعجيب أن هذا التعميم مرّ على الدائرة القانونية أيضاً، فلم ينتبه أحد إلى ما فيه من أخطاء. ولما جئت إلى الملك وأطلعته على هذه الأخطاء استدعى المسؤول عن ذلك ولامه لوماً شديداً وقال له: كيف تغفل عن هذا؟ لو أذنت لك بالتوقيع لَضحكوا علينا. نحن موقعون هذه الاتفاقية سنة ١٩٥٣، بل نحن أول الموقعين، في عهد الملك عبدالعزيز، فكيف يغيب عنا هذا؟! هذا مثل مما كنت أواجهه في الكشف عن الأخطاء، وما كان يسببه لي هذا الكشف من مكائد وخصومات. حتى إنني قلت للملك: لم يعد لي صبر على البقاء. فقال: أنا أعرف أن هناك مَنْ يكيدون لك لتترك العمل معنا من نفسك.

والأمثلة على هذا كثيرة. من أبرزها ما فعله المسؤول السابق نفسه حينما ذهب وفد المملكة من العلماء والمشايخ إلى الفاتيكان، فقد أرسل إلى السفير السعودي في باريس برقية يقول فيها: إن الدكتور الدواليبي ليس عضواً في الوفد، واسمه ليس مذكوراً بين أسماء أعضائه. وقد استنكر المشايخ هذه البرقية، وقال الشيخ الحركان: هذه مؤامرة على الوفد لتخذيل مسعاه في مهمته، والدكتور الدواليبي ركن أساسي فيه، وإني لن أحضر الاجتماع إذا لم

يحضر الدكتور الدواليبي، ويجب أن ترسل برقية إلى الرياض للتأكد من أن الدكتور الدواليبي عضو في الوفد.

وأرسل السفير برقية، وجاء الرد من الرياض بتأكيد عضوية الدكتور الدواليبي.

س ما تصوّركم للأجواء السياسية والمؤامرات التي كانت تحيط بالمملكة العربية السعودية بخاصة، والأمة العربية بعامة في المرحلة التي كنتم فيها على صلة بالمملكة؟

= في مطالع الخمسينيات كان الملك عبدالعزيز يمشي في أيامه الأخيرة نحو الشيخوخة، بعد أن مضى على حكمه خمسون سنة. وكان الجهد الأوروبي الإنكليزي الأمريكي متجهاً إلى ردّ شعب الجزيرة العربية قبائل متخاصمة، وبذلك يفتّتون الدولة التي توحدت واتسعت، ويفعلون بها كما فعلوا بالإمارات التي بها دولة البحرين، وكان ينطبق عليها هذا الاسم الحقيقي في القرن السادس عشر، إذ كانت تشرف على بحرين: بحر الخليج وبحر العرب أو المحيط الهندي، وكانت هذه المنطقة من حضرموت إلى البحرين تسمى البحرين، تخضع لحكم واحد، وتسمى دولة عُمان ومسقط، وكان حكامها يملكون جميع شرقي إفريقية من غرب عدن حتى موزمبيق، وزنجبار والجزر. وفي الحروب البرتغالية كان ملك البرتغال يستشير اليهود في القرن السادس عشر، فقالوا له لقد أخطأ الصليبيون حين اتجهوا لإنقاذ القبر المقدس في فلسطين، وكان عليهم أن يتجهوا إلى المدينة ويقضوا على القبر المقدس عند المسلمين، ويغزوا مكة؛ ولذلك تحولت الحروب الصليبية في القرن السادس عشر فدخلت الخليج، وضربت البصرة، ودخلت البحر الأحمر وضربت جدة.

وكانت الدولة العُمانية في ذلك الوقت تملك ثلاث عشرة سفينة حربية، تحوي كل سفينة مدفعاً واحداً، وهي التي وقفت أمام البرتغال وشتتتهم وأجبرتهم على الهرب. وكان حكامها يمشون على نظام الأسرة، في كل مكان أمير من أولاد الإمام، وكانت الدولة إمامية إباضية، وكلهم إخوة وأولاد عم، ودأبت إنكلترا على الإثارة ما بين الأخ وأخيه ليتقاتلوا، فتدخل وتصلح بينهم، وتضع قدماً للمصالحة الدائمة بينهم، من موزمبيق إلى الحبشة في مدخل أريتريا على البحر الأحمر، وقد ضمت إلى الحبشة أيام موسوليني. فهذه المناطق كلها كانت تخضع لدولة عُمان، والجنوب من عدن إلى البحرين التي بقيت ظلوا يقسّمونها ويفتنونها حتى صارت كلمة البحرين لا تدل عليها، بل صارت مثل الإمارات أحياناً كل إمارة ليس فيها سوى خمسة وعشرين ألفاً من السكان.

لذلك كانت سياسة الاستعماريين ألا يسمحوا ببقاء هذه المملكة الواسعة، حتى إذا مات عبدالعزيز أمكنهم تقسيم المملكة إلى قسمين، القسم الأول الحجاز، وكان على رأسه فيصل نائباً عن الملك، والقسم الثاني نجد وعلى رأسه سعود ولي العهد، وبذلك يقسّمون المملكة إلى دولتين. وهذا كان ثابتاً في مطالع الخمسينيات، وذكرت لفيصل وللأمير مساعد أن ما جرى في مسقط من خلافات مصطنعة بين أبنائها ليجزّئوها سيجري عندكم حتى تتجزأ بلادكم إلى إمارات وقبائل، وهذا مُخطَّط لكم. ولكن فيصلاً كان والحمد لله كبير العقل، فبعد أن مات أبوه وضع نفسه في خدمة أخيه، بعد أن أخبرتُه أن أمريكا متفاهمة مع عبدالناصر كما قال لي خروشوف على تسليمه اليمن والمملكة العربية السعودية والأردن وسورية كما أسلفت من قبل. وبذلك فوّتوا على السياسة الإنكليزية خطّتها ورغبتها في تقسيم السعودية إلى قسمين، ثم

يجزّئونها إلى مناطق قبلية كما فعل بدولة البحرين التي لم يبق منها سوى الجزيرة التي تسمى البحرين.

س هل كان لزيارة وفد المملكة للفاتيكان آثار سياسية؟

= لا شك أن نجاح زيارة وفد المملكة للفاتيكان أدّى إلى إيجاد نوع من التقارب بين المسلمين والمسيحيين؛ ولذلك فقد استاءت إسرائيل جداً من هذه الزيارة ومن ذلك التقارب، ولم تفلح محاولاتها في إحباط تلك الزيارة، وكذلك الاستعمار لم يرتح لتلك الزيارة. وكان الملك فيصل متهيباً منها، وأذكر أنه قال لي حينما وصلت إلينا دعوة البابا: يا دكتور، نحن مشايخنا يجتمعون، وربما يتفاهمون مع مشايخ العالم الإسلامي، فكيف تأخذهم إلى البابا؟ قلت له: يا جلالة الملك، هذا القصر الذي يسكنه الفاتيكان هو البناء نفسه الذي أصدر قراراً قبل عشرة قرون بمحاربة الإسلام. والآن يطلبون منكم أن تدخلوا إليه، لتعلنوا كلمة الإسلام في حقوق الإنسان. ونحن أمة دعوة، يجب أن نذهب إليهم وندعوهم. هم دعونا، فكيف نرفض الدعوة؟ قال: ولكن المشايخ ربما لا يتفهّمون هذه الدعوة، فقلت له: عيّن أسماء الوفد، وأنا أعمل على تهيئتهم إن شاء الله. وكان الأمر كذلك، وتمت الزيارة رغم محاولات إسرائيل المتعددة للحيلولة دون إتمامها، وحققت نجاحاً كبيراً.

س أليس قطع الملك فيصل البترول عن أمريكا، ومجيء كسينجر ومقابلته إياه أليس هذا هو السبب الرئيس في مقتله؟

= حدث قطع البترول في سنة ١٩٧٣، وقُتِل الملك فيصل سنة ١٩٧٥، ولا شك أن هذا القطع كان له وقع كبير جداً، وجاءت زيارة الفاتيكان عاملاً جديداً في هذه الأزمة. فقد فكروا بالسيطرة على المملكة واحتلالها. وفي أزمة الخليج

كُشِف هذا السرّ كما نشرته مجلة المجلة، وقد أعلنه السفير الأمريكي في المملكة آنذاك. ذلك أن كسينجر راسل السفير الأمريكي بعد قطع البترول، يستشيره في احتلال الجزيرة العربية كلها بعد احتلال المملكة، وقال في كتابه السرّي للسفير: إن أمريكا تعاني عجزاً في البترول، والبرميل يُباع بعشرين دولاراً، وكلفة الإنتاج دولاران. فيُعطَى نصف المبلغ للمملكة ولآبار البترول، وتأخذ أمريكا النصف. وأجابه السفير: هذا شيء خطير جداً. وتبادلا آراء مختلفة، واضطر السفير إلى الاستقالة آنذاك. وقد نشر السفير الأمريكي خبر استقالته في ذلك الوقت في الأزمة التي أثارها صدام حسين؛ لأن كسينجر أراد احتلال الجزيرة العربية كلها. وإن أمثال كسينجر مازالوا موجودين في الإدارة الأمريكية.

س ما الذي حال دون تطبيق هذا المخطط الذي اقترحه كسينجر وهو احتلال المملكة؟

= الحرب الباردة بين القطبين جعلت الأمر صعباً. واحتلال الجزيرة ومناطق البترول ليس بالأمر السهل. فالسوفييت كانوا يحاربون في أفغانستان مروراً ببلوجستان، ويتطلعون للسيطرة على المنطقة. والسباق على أشده في التكنولوجيا التي تمكّن من جعل الحرب قصيرة، وما كانوا مهيئين لخوض حرب سريعة؛ ولذلك انصرف القطبان، كلٌّ منهما يريد أن يسبق في الإعداد التكنولوجي وقد استفادوا من هذا الإعداد وطبقوه في أزمة الخليج. فقد اختلف الوضع العسكري عما كان عليه في الحرب العالمية يوم كانت فرنسا وإنكلترا تواجهان ستالين في روسيا في أزمة الخليج إذ دخلت الحرب سبع وثلاثون دولة بأساطيلها، وسبع عشرة دولة عربية وإسلامية. وجاءت

التكنولوجيا الحديثة المتطورة فأنهت الحرب في مئة ساعة، في حين اضطر هتلر أن يحارب ست سنوات، إذ ابتدأت بحرب تقليدية؛ فالأمريكان كانوا يبذلون جهدهم في الوصول إلى إمكانات حربية يعطلون بها إمكانات السوفييت؛ ومن هنا تطورت الأوضاع، ولم يكتب للمخط النجاح.

٤١- مع الملك خالد

س ماذا تذكرون في علاقتكم بالملك خالد رحمه الله؟ وهل هناك مواقف معينة تذكرونها، بحكم اتصالكم به وبغيره؟

= كان الملك خالد رحمه الله رجلاً قوي الإيمان بالإسلام، متأثراً ببعض العلماء الثقات، الذين لا يشك في عملهم ولا صدق إيمانهم، ولكن إدراكه لظروف العصر وما يحيط به لم يكن واسعاً. وكان الملك خالد سليم الصدر، ولذلك كنت ألح على الأمير فهد آنذاك أن يكون للأمير خالد كما كان فيصل لسعود. وقد تم هذا والحمد لله، فسلك مع الملك خالد السلوك الذي سلكه فيصل مع سعود.

٤٢- مع خادم الحرمين الملك فهد

س إذا انتقلنا دولة الدكتور إلى علاقتكم بخادم الحرمين الشريفين الملك فهد وهو في سُدَّة الحكم، فما هي ذكرياتكم عن اتصالكم به وبشخصيته وأعماله؟

= لا شك أن الملك فهد أظهر مرونة وكفاءة. وخصوصاً إذا علمنا أن الأحداث العالمية بعد الملك فيصل أخذت تتعقّد. في أيام الملك فيصل ما كانت المشكلات قد ظهرت في قلب البلاد العربية، اللهم إلا مشكلة عبدالناصر. أما العالم العربي فلم يكن فيه ذكر للمشكلات، وقد استطاع فيصل أن يجرد عبدالناصر

من عدائه، إذ كان بعد حرب ١٩٦٧ يهاجم فيصلاً ويشتمه، فما إن علم فيصل أن عبدالناصر ليس لديه إمكانات وأنه أصبح عاجزاً أمام إسرائيل حتى قال له: أنا أقدم لك ما تحتاج من إمكانات، مع أنه كان يهاجمه في مؤتمر الخرطوم، وسأله فيصل: ماذا يلزمك؟ وقدم له ما يلزمه. وكانت الكويت أقرب الناس إلى عبدالناصر، وامتنعت عن العطاء، فأعطى الملك فيصل حصته وحصة الكويت. لقد كان أمام فيصل مشكلة واحدة، هي عبدالناصر. أما في عهد الملك فهد فقد تزايدت المشكلات في العالم العربي.

لا شك أن الملك فيصل قام في أيامه الأولى بأعمال مهمة، أبرزها تحقيق الاقتراحات الثلاثة التي كنت اقترحت القيام بها، وهي تنظيم سياسي بين الدول الإسلامية، وبنك التنمية، ووكالة الأنباء، وقد تحقق منها أمران، وبقي الثالث، وهي وكالة الأنباء فقد وضع دستورها، ولكنها تحتاج إلى ملياري دولار، ولا أحد يدفع، إنها تحتاج إلى أجهزة تسجيل ضخمة تنقل المعلومات بمختلف اللغات، وتكاليفها عالية جداً، وتحتاج إلى إنفاق مستمر. أما منظمة المؤتمر الإسلامي فقد بدأت ميزانيتها بأربعة ملايين، ووصلت الآن إلى عشرة ملايين، وتضم خمساً وأربعين دولة، ولكنها لا تدفع شيئاً من هذه الميزانية الضخمة. ومع ذلك قامت منظمة المؤتمر الإسلامي بجهود فيصل، فحقق بها على ضعفها ما لم تحققه الدول المسيحية ولا الدول الشيوعية، فالدول المسيحية متعاونة ضد الإسلام، ولكنها لم تشكل رابطة، والشيوعية تفككت دولها، ولم تكوّن كتلة؛ ذلك أن الشيوعية نجحت في الصين، ثم صارت الصين خصماً لروسيا وابتعد تيتو عنها، وبقيت بعض البلدان محتلة على الرغم منها، وانفصلت الآن. ففي هذا البحر المتلاطم من الاتجاهات العقدية المتضاربة ثبّت مسعاه وأقام كتلة

متجانسة في منظومة عقدية، فكان إنجازه عملاً عظيماً، في ظروف صعبة، كل ما في الساحة الدولية من قوى ضده، كأمريكا والشيوعية وإسرائيل وعبدالناصر.

لقد اختلف الزمن، ففي عهد فهد تعددت المشكلات وتفرعت وتعقدت، وآخرها مشكلة أزمة الخليج القاصمة، وقد واجهها ووقف أمامها. وقبل ذلك قام بعمليات مصالحة ما بين المغرب والجزائر، والمغرب وليبيا، والأردن وسورية، وهي مشكلات في داخل البلاد العربية، برزت في أيام فهد، وتصدى لمعالجتها. ولما حشد صدّام ٢٥٠/مائتين وخمسين ألف جندي على حدود السعودية، ولم يُكتَشف هذا الحشد إلا بالأقمار الصناعية في الصحراء، لم يصدق الملك فهد ذلك حين أبلغه الأمريكان فتثبت من صحة الخبر بالهاتف فكلم صداماً، فحاول هذا أن يراوغ، ثم لماذا الخوف؟ أليس بيني وبينك معاهدة صداقة وعدم اعتداء؟ وتبين لفهد صدق الأمريكان. وكان لابد من اتخاذ قرار سريع لمواجهة هذه المصيبة، فلم يتردد في اتخاذ قرار المقاومة، ولم يلتفت لتضارب الآراء، فهذا يقول يجوز، وهذا يقول: لا يجوز. ولو تردّد، أو توقّف عند تضارب الآراء لطارت المملكة، ولنزل بها ما نزل بالكويت، وما كان هناك من يقول للمملكة ما قالته المملكة للكويت. لقد كانت السرعة في البت في هذه المسألة الخطيرة وتحمّل المسؤولية فيها أمراً مهماً جداً، وليس عملاً بسيطاً، ولقد سمعت من أساتذة جامعيين أنه ليس من رأيهم التفاهم مع أمريكا في هذه المسألة الخطيرة. ومن هنا كان للملك فهد الفضل في سرعة اتخاذ القرار، وكانت الحرب العالمية التي انتهت بعد مئة ساعة، وتجمّع فيها ستون دولة، وبذلك أعاد الكويت إلى أصحابها. ولما سأل أمريكا ما موقفها؟ كان

الجواب: سنحدد موقفنا بعد أربع وعشرين ساعة. وتمكنت الإدارة من أن تأخذ موافقة الكونجرس، بعد أن أفهمت أعضاءه أن القضية قضية بترول قد تزلزل الاقتصاد العالمي، ومن هنا أَذِن الكونجرس، وكان المنتظر ألا يأذن، لأنه خاضع لتوجيهات إسرائيل، بل كان المتوقَّع أن تكلِّف إسرائيل بالوقوف في وجه صدّام حسين، وتدفع المملكة التكاليف لصالح إسرائيل. ولقد نجح بوش بأخذ موافقة الكونجرس في ليلة واحدة، اجتمع فيها مئة من أعضائه وأعطوا موافقتهم، وبسبب هذه السرعة في البتّ تغيرت المقاييس كلها، وأذكر أنني قلت للملك فهد أمام جمع من العلماء: إن الأخطار التي وقعت شتَّتَتْ مليون كويتي، وكانت ستُشتّتِت ثمانية عشر مليوناً، والكويتيون الذين أخرجوا من ديارهم لجؤوا إليكم، فماذا لو حلت المصيبة بكم - لا سمح الله - فموقف الملك فهد كان موقفاً عصيباً تتزلزل فيه الأقدام، وقد أعانه الله عليه.

س ما هي انطباعاتكم في عملكم مع الملك فهد؟

= لما آل إليه الأمر أظهر كفاءة عالية، وحافظة طيبة، وجلداً على العمل، فلا أعرف كيف يتفرغ لشؤون الدولة، فالتقارير في مختلف الأمور تُرفَع إليه، فيقرؤها، ويتعرف منها على شؤون الدولة، ولديه الآن ما لا يقل عن ٤٠-٥٠ سفارة، كل سفارة ترد منها أخبار، والوزراء ينقلون إليه الأخبار الخارجية والأخبار المحلية والأخبار العالمية والأخبار الأمنية، وما في الساحة من مشكلات، وكل هذه الأمور تُسيّر وتعالج بسرعة.

س وماذا عن دعوة الملك فهد لإلقاء خطاب في الأمم المتحدة؟

= في الذكرى الأربعين سنة لهدنة الحرب العالمية الثانية دعا ريغان لأول مرة رؤساء الدول لإلقاء خطابات في الأمم المتحدة، ودُعِي الملك فهد. وكان فهد في

زيارته لريغان في أول سنة ١٩٨٥ حدّثه عن المشكلات الموجودة في الشرق الأوسط بشأن فلسطين، ووعده ريغان خيراً، ولكن مشى بالعكس إذ كانت قضية فلسطين تسير في مصلحة اليهود تماماً؛ ولذلك لما وجه ريغان الدعوة إلى رؤساء الدول أصرّ على حضور فهد بالذات. وكانت هناك أمور تجري في الخفاء. وفي اللحظة الأخيرة اعتذر الملك فهد عن الذهاب، وأبلغ ريغان أنه سيأتي الأمير سلطان.

٤٣- عودة إلى الحاج أمين الحسيني

س هل لكم أن تلقوا الضوء على شخصيات أخرى مهمة في حياة أمتنا، وفي مجابهة الاستعمار؟

= الشخصية التي أود التحدث عنها في هذا المجال هي شخصية الحاج أمين الحسيني. فلقد كانت الحركات الوطنية السلبية التي قامت ضد الاستعمار من مراكش إلى بغداد كلها محلية إقليمية، في مصر وسورية والجزائر ومراكش. والزعيم الذي انفرد بدعوته إذ نادى بجعل هذه الحركات إسلامية هو الحاج أمين، فقضية فلسطين في نظره ليست قضية فلسطينية، وإنما هي قضية إسلامية؛ ولذلك جمع المؤتمر الإسلامي الذي أسسه الملك عبدالعزيز في سنة ١٩٢٦، جمعه في سنة ١٩٣٢ لينقل القضية الفلسطينية إلى أرجاء العالم الإسلامي، فكان بذلك بعيد النظر، فقضية فلسطين لا يجوز أن تبقى إقليمية، ومنذ ذلك الحين نعيش الجو الإسلامي الذي أوجده الحاج أمين، خلافاً للزعامات الأخرى التي وقفت تقارع الاستعمار على أسس إقليمية محلّية. ومن هنا كانت قضية فلسطين عربية إسلامية، تمسّ العالم العربي وتمسّ العالم الإسلامي، بسبب ربط الحاج أمين إياها بالعالم الإسلامي. وكان يتنقّل في

أرجاء العالم الإسلامي من أجل قضية فلسطين. ولما قرر الفلسطينيون إنشاء جامعة في القدس، وهي للتعليم وليست للسياسة، سافر إلى الهند وغيرها من البلاد الإسلامية، يطلب التبرعات لهذه الجامعة، مع أن كثيراً من أقطار المسلمين ما كانت مستقلة، بل كانت ترزح تحت نير الاستعمار، ومع ذلك كان يجوب الأقطار المستقلة وغير المستقلة داعياً لفلسطين وقضاياها. لقد كان رحمه الله الوحيد بين الزعامات الوطنية الذي بنى قضيته على مستوى العالم الإسلامي ولم يبنها على المستوى الإقليمي. وكان نظيف اليد، يجبي الأموال من أجل الثورة السورية، ولما قامت الثورة الفلسطينية راح يجمع الأموال من أجل الثورة الفلسطينية. وكانت الأموال في يده الأمينة تصل إليه فيوزعها في مصارفها كلها، ولما توفي ما كان عنده شيء من مال. وكان يعيش على ما يأخذه من المملكة، فهو من الزعامات التي اشتهرت بالأمانة والنظافة والعفّة. وما كانت توجد قضية إسلامية إلا ويعمل من أجلها، إلى جانب القضية الفلسطينية، ففي أثناء الحرب العالمية عمل من أجل أندونيسيا ضد الهولنديين، ولما جاءت قضية قبرص في تركية، كان يجمع السلاح ويرسله للأتراك في قبرص ليقفوا في وجه اليونان. وكان تقياً متعبداً صالحاً، يتمثل حقيقة الإسلام قولاً وعملاً، ولذلك رفع الله ذكره وبارك في عمله.

٤٤- القضية الأفغانية

س نأتي الآن إلى قضية أفغانستان لنسألكم عن انطباعكم عنها وعما يحيط بها من مؤامرات ومخططات، فقد ذهبتم إليها وحاولتم جمع كلمة المجاهدين وقابلتم المسؤولين الروس من أجل هذه القضية.

= القضية الأفغانية مرتبطة بمخططات مسبقة للسوفييت، الهدف منها الوصول إلى المحيط الهندي، ليحيطوا بالخليج العربي والبحر الأحمر، ويمنعوا أي تسرّب من البترول إلى أمريكا في حالة وقوع حرب. أرادوا أن يجدوا لهم منفذاً من مضيق الدردنيل إلى البحر الأبيض بعد أن تشيّعت الصين، وأكسبت السوفييت قوة، فطلبوا المرور بالدردنيل، فامتنعت تركية، إذ كان هناك اتفاقية دولية، تجعل الدردنيل أراضي تركية، كما أن قناة السويس أراض مصرية على الضفتين، وبحسب هذه الاتفاقية تخضع الأساطيل المسلحة إذا مرت بها للتفتيش والمراقبة، وتمنع من المرور الحرّ، لأنه قد يفضي إلى احتلال البلد. ولما امتنعت تركية عن السماح للروس بالمرور أخبرَت أمريكا، فقالوا لها: ارفضي وادخلي في الحلف الأطلسي، وبذلك سُدّ الطريق على روسيا وصار مركز الأسطول الأمريكي في اليونان يراقب الدردنيل باستمرار.

وهكذا كانت روسيا تفكر بعد أن ضمت الصين إليها، وأصبحت دولة كبرى في مطالع الخمسينيات قادرة على التهديد، وترى أن الدولة التي تسيطر على الخليج تستطيع منع وصول البترول إلى الدول الغربية، وراحت تسعى إلى ذلك. وشجعها على ذلك أن عدن كانت حكومتها شيوعية وهي من جانب البحر الأحمر، والحبشة، أحدثوا فيها انقلاباً أتى بشيوعيين إلى الحكم، فصارت عدن من طرف والحبشة من طرف. ولكن كيف يصلون إلى الخليج؟ عندئذ فكروا في أفغانستان، فهي متصلة بباكستان، وباكستان تعد مئة وعشرين مليوناً من السكان، مشكّلة من أربعة أقاليم: إقليم السند الذي فيه كراتشي، وإقليم البنجاب الذي فيه لاهور، والإقليم الشمالي وفيه بشاور، وبلوجستان وهو أكبر الأقاليم، يبدأ من أفغانستان في الشمال. ويهبط إلى البحر ويتصل به، فهو أكبر الأقاليم الأربعة، إذ الأقاليم كلها يبلغ عدد سكانها مئة وعشرين مليوناً،

وإقليم واحد وهو أكبرها جميعاً لا يزيد عدد سكانه عن مليون ونصف، فهو أراض غير مسكونة تقريباً. فإذا احتلوا أفغانسان فبإمكانهم أن يطلبوا مروراً حراً في بلوجستان كما طلبوا المرور الحر في الدردنيل، وهذا ما كنت أقدّر وقوعه لما رأيت من صنيعهم في العد الملكي، إذ أنشؤوا طريقاً معبداً بالإسمنت المسلّح، لأنه يقع في منطقة جبلية باردة، ليصمد أمام الرطوبة والجليد، وهذا الطريق كلّفهم مبالغ طائلة، لا يُعقَل أنهم دفعوها من أجل المرور التجاري. وإنما لأهداف عسكرية، ولذلك قلت يومئذ لضياء الحق إن عملهم هذا يدل على أنهم يضعون أعينهم على بلوجستان غير المسكونة تقريباً.

وزاد من أطماعهم ما رأوا من حاجة باكستان إليهم، لما استقرت وظهرت فيها ثروات زراعية وبترولية ومعادن وطلبت من إنكلترا العون بوصفها كانت تابعة للكومنولث فرفضت أن تساعدها في الاستثمار، فطلبت باكستان من أمريكا فرفضت، فاضطرت أن تطلب العون من ستالين، فأعطاها الخبراء في سنة ١٩٤٧ منذ الاستقلال؛ ولذلك لما سُدّ في وجه الروس الدردنيل فكروا مستعينين بخبرائهم بباكستان، واكتشفوا أهميتها الإستراتيجية وثرواتها الغنية، وأنها تطوق إيران التي هي منطقة بترولية، وإذا تمكنوا من تطويق إيران صاروا في مداخل الخليج؛ ولذلك ترجح لدى الروس أن يصرفوا النظر عن الدردنيل؛ إذ كانت غايتهم منع البترول عن خصومهم، وإذا جاؤوا عن طريق بلوجستان سيطروا على مداخل الخليج كلها، وعندهم عدن والحبشة، وكانوا قد سيطروا على زنجبار في الجنوب؛ إذ أحدثوا انقلاباً أتوا به بنيريري الشيوعي، وأزاحوا السلطان. فهذا التخطيط عند الروس كان يمشي بجد. وهذا ما كنت أتوقعه.

كان الملك ظاهر شاه، ملك أفغانستان، مسافراً. وكان الجيش الأفغاني يتحرك للانقلاب عليه، فكلّف أحد الضباط الشيوعيين، وهو محمد طراقي، أن يقنع داود شاه، وهو ابن عم الملك وزوج أخته، بالانقلاب على الملك، فوافق، وإذْ علموا أنه لا يمكن أن يُقدِم على قتل الملك، رتّبوا الانقلاب وإعلان الجمهورية وتعيين داود شاه رئيساً للجمهورية، دون أن يقدموا على قتل الملك، وبذلك تجاوزوا مشكلة الإرث في النظام الملكي. وتم الانقلاب بالاتفاق مع الشيوعي محمد طراقي، وعين داود شاه رئيساً للجمهورية. وبعد فترة صار كل شيء في الدولة بيد محمد طراقي، وعندئذ قتل داود شاه.

ولما صار داود شاه رئيساً للجمهورية ألف حكومة، وطلب العون من السوفييت، وأعلن أن منطقته بحاجة إلى منفذ على البحر؛ إذ لا يجوز أن تبقى محبوسة لا منفذ لها، وليس هناك من طريق إلى ذلك إلا من بلوجستان، فأخذ موافقة السوفييت وطلب السماح له بالمرور الحرّ من بلوجستان، وهذا ما كنت أتوقع حدوثه؛ لأن أمريكا رفضت إعطاء خبراء للبحث عن الثروة في باكستان، وكذلك رفضت إنكلترا. أما الروس فقد وافقوا وأرسلوا الخبراء، واكتشفوا أن المرور بهذه المنطقة قليلة السكان هو الأسهل؛ ولذلك صنعوا انقلاب أفغانستان ليتوصلوا إلى المحيط الهندي، وعدن في يدهم، فيأتون من شرقي إيران ويلتفّون على الخليج، حيث البترول، وهذه أفضل طريقة للسيطرة عليه. فطلبوا من ضياء الحق السماح لهم بالمرور الحر من بلوجستان، فرفض. وقلت له يومذاك: لابد لك من أن تصالح أمريكا؛ لأنه كان مخاصماً لها لما استعمل سلاح حلف بغداد في مقاومته انفصال باكستان الشرقية، فقد قطعوا عنه الإعانات؛ لأن الأمريكان كانوا يعملون لفصلها بالاتفاق مع نهرو، لإضعاف الدولة الإسلامية. وكان ضياء الحق يسب الأمريكان ويهاجمهم لقطعهم

الأسلحة عنه؛ فقلت له: جرب الاتصال بهم، فلا يزال في الرئاسة بقايا ممن نعرفهم منذ عام ١٩٦٢ أيام كنتُ رئيساً للحكومة السورية، ومنهم جونسون وبعض الشخصيات الأمريكية الذين كنا نتعامل معهم، ويمكنني أن أتصل بهم وأنبّههم إلى الخطر الذي يسعى إليه الروس. وذهبت فعلاً في سفرة سرّيّة في سنة ١٩٧٧ إلى أمريكا، والتقيت ببعض الشخصيات الأمريكية المسؤولة ممن يمكنهم السيطرة على البيت الأبيض، ونبّهتهم إلى خطر ما كانوا متنّبهين إليه إلا بعد ما صار الانقلاب في أفغانستان. وقالوا: لو لم ينبّهنا فلان إلى هذا الخطر لما تنبّهنا. وأعادوا الصلات مع باكستان، وأعطوها الأسلحة التي كانوا أوقفوها.

ولما بدأ المجاهدون بمقاومة السوفييت أيدهم العالم العربي والعالم الإسلامي. وأمام إصرار السوفييت على الحرب كان لابد لي من التدخل، وإفهام الروس خطأ محاربتهم للمجاهدين. وجاءتني دعوة خاصة من الروس سنة ١٩٨٦، فقلت لهم: لا آتي لمجرد زيارة المسلمين، أما إذا كان مجيئي للمباحثات من أجل قضايا المسلمين فأنا مستعد. فوجهوا لي الدعوة، ولكن صادف أن جاءتني دعوة سابقة من الصين، فاعتذرت للسوفييت فأجّلوا الدعوة إلى سنة ١٩٨٧. وفي هذه السنة ذهبت إلى قصر الكرملين، وكان غورميكو رئيساً للجمهورية، ولكن المسيطر هو سكرتير الحزب غورباتشوف، وكان لقائي بشيفرنادزه وبعض المسؤولين، وكانت الثورة الأفغانية على أشدها. وبحثت مع المسؤولين السوفييت القضية الأفغانية، وحاولت إقناعهم بأن حربهم للمجاهدين ليس في مصلحتهم؛ لأن الأفغان كانوا واقفين في وجه الإنكليز الذين احتلوا الهند، وأرادوا أن يحتلوا أفغانستان لتكون ممراً لهم إلى روسيا، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب على الأفغان. فما مصلحة روسيا في الاعتداء على

الأفغان واحتلال بلادهم، وهم الذي وقفوا في وجه العدو المشترك الإنكليز؟ إنه ليس من مصلحة السوفييت الاصطدام بالعالم الإسلامي والعالم العربي. ورأيت أن كلامي ترك أثراً في نفوسهم، ووعدوا بالخروج من أفغانستان.

واجتمعت بعد ذلك بالمجاهدين، وأفهمتهم أن القتال لن يجدي؛ لأنه سيوقع الخراب في البلاد، وروسيا دولة كبرى، فلابد من العمل السياسي أيضاً، وقد تسنح الفرصة للتفاهم مع رئيس جديد قادم إلى روسيا، لديه رغبة في التسامح مع الأديان، فليس من المصلحة الاستمرار في القتال والبلاد تخرب، حتى إذا تحررتم في يوم من الأيام فلن تجدوا أمامكم إلا خرائب. وقد تفاهمنا مع الروس على إيجاد مخرج للقضية الأفغانية، فما هي شروطكم؟ كانوا منقسمين في الرأي حول الذهاب إلى المفاوضات؛ لأن الرأي السائد لديهم أن الحرب ونتائجها لهم. فقلت لهم: لن تصلوا إلى هذا. أمريكا تساعدكم، لأنكم في حربكم للروس تنهكون عدوّها، ومن مصلحتها استمرار هذه الحرب. أما إذا اقتربتم من هدفكم، وهو إقامة الدولة الإسلامية، فستقطع عنكم أمريكا المدد؛ لأن في استمرار الحرب سفكاً لدماء المسلمين ودماء الشيوعيين، وهذا ما تريده أمريكا، فأنتم بإصراركم على الحرب ترضون أمريكا من حيث لا تشعرون، فاقتنع المجاهدون بوجهة النظر هذه، وتوصلنا إلى أحجية التفاهم مع السوفيت على أساس إجراء انتخابات بعد وقف الحرب، تقوم بها لجنة دولية. ومن يحوز على الأكثرية يستلم الحكم. ولضمان موافقة الروس على مشروع كهذا، وحتى لا يخرجوا منكسرين، ويسحبوا عميلهم ويطردوه، أقنعناهم أن يعين هو الحكومة التي ستجري الانتخابات، على أن يستلم الحكم من يحوز على الأكثرية، سواء أكانوا من الشيوعيين أم من المجاهدين، وكان المجاهدون مسيطرين على ثلاثة أرباع الدولة، والأكثرية

معهم. وبذلك اقتنع المجاهدون واقتنع السوفييت، وكان هذا الاقتراح بالاتفاق مع الملك فهد، وأرسل السوفييت فولنستوف للالتقاء المجاهدين، وكانوا ممتنعين عن اللقاء بالسوفييت. وكان الاجتماع بالطائف. ولم أستطع حضور هذا الاجتماع، إذ كان لديّ موعد في اليونسكو من أجل مشروع إسلامي أرأسه للكتابة عن الإسلام، وهذا الموعد مضروب منذ سنة؛ ولذلك لم أتمكن من العودة من موسكو إلى المملكة مباشرة.. وتم التفاهم أن يرسل السوفييت وفدهم للالتقاء بالمجاهدين على أرض المملكة. وهنا حدثت أخطاء من إخواننا المجاهدين. فقد نزل الفريقان المجاهدون والسوفييت في فندق الطائف، على أن يكون الاجتماع في قاعة الاجتماع فيه. وكان المكلّف بترتيب هذا الاجتماع الأمير تركي الفيصل رئيس المخابرات السعودية، فطلب من الأفغانيين أن ينزلوا إلى قاعة الاجتماع أولاً، ثم يأتي السوفييت، فيرحب بهم الأفغانيون. فرفض هؤلاء ذلك قائلين: نحن لا نقوم لكفار. وأصبح الموقف حرجاً وخصوصاً إذا فهم السوفييت موقف الأفغانيين.

ولكن تمكّن الأمير تركي بنباهة وذكاء من حل هذا الإشكال بأن قال للأفغان: تخرجون أنتم وهم في آن واحد، متجهين جمعياً إلى القاعة، ونوصي رجال المراسم بأن يمشوا معكم ببطء، ويمشوا مع السوفييت بسرعة، وبذلك يدخلون القاعة قبلكم من حيث لا يشعرون. وتم ذلك، ووصل الوفد السوفييتي إلى القاعة وجلسوا قليلاً، ودخل بعدهم الأفغان. ووقف السوفييت واستقبلوا الأفغان. وبذلك سارت الأمور على ما يرام. ولكن ربّاني ذهب بعد ذلك وأعلن في الصحف أننا رفضنا أن نقوم لهم، وجعلناهم يقومون لنا. وهنا انزعج غورباتشوف جداً، ولام شيفردنادزة وأنّبه قائلاً: كيف ترضون أن يدخلوا بعدكم ثم يقولون ما قالوا؛ ولذلك أخفقت المهمة التي جاء الفريقان من أجلها،

واستمرت الحرب وسبّبت خراباً أكثر. وكنت نبّهت المجاهدين إلى أن الروس سيذهبون إلى أمريكا قريباً للتفاهم معهم. فإذا تم هذا التفاهم بينهم فسيستمر السوفييت بضربكم، وستقطع أمريكا عنكم السلاح. وفعلاً تم هذا التفاهم، وصارت أمريكا تعطي المجاهدين السلاح الذي يساعد على دوام الحرب لا على إحراز النصر. وهدفها أن يفني الفريقان المتصارعان بعضهما بعضاً.

٤٥- زيارة الصين

س هل هناك ما تتحدثون عنه في زيارتكم للصين؟

= دعيت إلى الصين سنة ١٩٨٦ بغير سعي مني، وإنما عرض بعض الأشخاص ممن لهم صلة بي في مؤتمرات دولية، وذهبوا إلى هناك لمسائل تجارية، عرضوا اسمي، وكانوا قد أخذوا عنواني، فدعوني. وكانت بعض الجمعيات الصينية قد زارتني ورغبت إليّ بزيارة الصين للتعرف على أوضاع المسلمين هناك، كما جاءني عالم من علماء الصين وأبدى رغبته ورغبة علماء الصين من المسلمين بزيارتهم، وقد وجهت إليّ الدعوة بصفتي رئيس مؤتمر العالم الإسلامي. فاستأذنت الملك فهد بالذهاب، وألّفت وفداً مشكلاً من الأمين العام للمؤتمر الإسلامي وعدد من الأشخاص من مناطق العالم الإسلامي، واستُقبِلنا استقبالاً حسناً من وزارة الخارجية الصينية، وأعدّوا لنا برنامجاً لزيارة رئيس الوزراء وزيارة المناطق الإسلامية، وصادف في اليوم الثاني لوصولنا مجيء ملكة إنكلترا للتفاهم حول قضية هونغ كونغ؛ ولذلك اعتذر رئيس الوزارة عن مقابلتنا، وحضر نائبه، واجتمعنا به في رئاسة الوزراء بحضور جميع أعضاء الوفد، فقال: نحن الآن ضد الثورة الشيوعية الثقافية، ولم يعدلنا نشاط

لمحاربة الأديان، ونريد السلام؛ ولذلك دعوناكم، ونحن مستعدون للتعاون على كل ما فيه مصلحة بيننا وبين العالم الإسلامي. فقلت له: إذا كنتم تريدون السلام، فنحن نعبد الله الذي من أسمائه الحسنى (السلام) وعلى سبيل النكتة والمزاح قلت له: ياليت كل شعب الصين أيضاً يعبد السلام. ولكننا نريد أن نتعرف على أي درجة من السلام، فقال: المسلمون يمكن أن يأخذوا حريتهم. فقلنا: هذا شيء طيب، لا يكاد أحد أن يصدقه. ولكننا حريصون على أن نرى حقائق ووقائع صريحة واضحة تؤيد هذا الكلام.

٤٦- مؤامرات المخابرات الدولية

س هل لكم ما تضيفونه حول المؤامرات التي تحاك لأمتنا عن طريق أجهزة المخابرات الدولية؟

= من أبرز ما أذكره في هذا المجال ما نشرته مجلة المجلة في شهر تشرين الأول ١٩٩٠ في الصفحتين ١٦، ١٧ عن أحد مؤسسي الـ CIA (مايلز كوبلاند) في مقال طويل عن نشاطه السياسي بوصفه عضواً مؤسساً في المخابرات الأمريكية الخارجية، فقد قال جواباً على سؤال المجلة: ما رأيك في قضية العراق: قال: نحن لنا عند صدام فريقان، فريق أمريكي سحبناه، وفريق آخر يحمل الجنسية الأمريكية باق عنده، وهذا هو الذي سيهدمه، وهذا الفريق هو الذي تعتمد عليه الـ CIA لمعرفة كل شيء يجري في مجلس الثورة في العراق أو داخل حزب البعث. وأذكر بأني لما قرأت هذا الكلام قلت: لقد فضح هذا الرجل أموراً وكشف أسراراً فكيف سُمِح له بنشرها؟ فاذا هو يموت بعد أسبوع من تاريخ تصريحه هذا كما جاء في مجلة المجلة، مع أنه بدا في الصورة سليماً نشيطاً قوياً، ليس فيه ما يدل على أثارة من مرض، ولما قرأت نبأ وفاته قلت:

قتله اليهود. أذكر هذا بالإضافة إلى ما ذكرته في ص ١٧٥ عن دوره في الانقلابات التي قامت في البلاد العربية، وأنه كان مستشاراً لحسني الزعيم، ثم مستشاراً لأديب الشيشكلي، ثم مستشاراً لجمال عبدالناصر.

٤٧- الصراع على البترول وحرب الخليج

س هل لديكم ما تقولونه حول الصراع على البترول في دول الخليج، وما يكتنف هذا الصراع من ملابسات ومؤامرات؟

= رفضت البلاد العربية أن يكون فيها قاعدة عسكرية أجنبية. ولا بد من حماية البترول؛ ولذلك قدم الأمريكان مساعدات عسكرية لدول الخليج، ولكنها لم تتجاوز الأسلحة التقليدية، وكان السلاح ممنوعاً عن دول الخليج حتى إذا قام صدّام بعدوانه على الكويت تغيّر الوضع. وكان التخطيط أن تقوم إسرائيل بقمع عدوان صدّام؛ لأن أمريكا كانت مقيدة بقرار من الكونجرس بعد خروجها من فيتنام ألا تدخل في حروب. وكانت إسرائيل مطمئنة إلى أن الكونجرس لن يأذن لأمريكا بالتدخل. وكانت إسرائيل في الوقت ذاته تلعب على الحبلين، فهي في الوقت الذي تعدّ جيشها للتدخل تشترط ألا تتدّخل إلا إذا فرِض الصلح بينها وبين المملكة، ومندوبها يجتمع في فيينا بمندوب صدام سعدون حمادي، لأجل عقد معاهدة عدم اعتداء بينها وبين صدام كما ذكرت جريدة القدس. وقد تم الاتفاق بينها وبين صدام على أن يعدّل الدستور ويقيم الاشتراكية، وقد أعلن صدام دستوره البعثي الاشتراكي، واشترط أن يكون رئيس الجمهورية بعثياً، وأزال من الدستور السابق مادة دين الدولة الإسلام. وما كان يعلنه صدام من تصريحات ضد إسرائيل إنما كانت للاستهلاك المحلّي، ليلتف الناس حوله. وكذلك تهديده الذي أعلنه للكونجرس والشتائم التي وجهها لأمريكا. وبما أن

المعروف أن أمريكا لا تستطيع دخول الحرب إذا هاجم الكويت، وليس هناك قوة مهيّأة للدخول في حرب إلا إسرائيل، أصبح من الواضح نجاح المخطط الإسرائيلي في تدخّلها ضد صدّام ووصولها إلى الصلح بينها وبين المملكة، وإطلاق يد صدّام في تطبيق الاشتراكية فيها وتوزيع الثروة. ولكن اجتماع مندوبها بمندوب صدام سعدون حمادي انكشف بعد ذلك لأمريكا، وكان عاملاً مهماً في إقناع بوش لأعضاء الكونجرس بالموافقة على التدخل في حرب الخليج في غضون ساعات. وكانت مفاجأة لأمريكا مزعجة أن تقوم إسرائيل باتفاقيات ومباحثات عدم اعتداء سرّية بينها وبين صدام. وكانت مفاجأة لإسرائيل مزعجة أيضاً أن يوافق الكونجرس على التدخل في خلال ساعات، ولا علم لإسرائيل بذلك. ولم يجد بوش صعوبة في إفهام أعضاء الكونجرس، وفيهم كثير من أنصار إسرائيل، أن اعتداء صدام وراءه السيطرة على البترول العربي، وانهيار الاقتصاد العالمي كله، وأعطى الكونجرس إذنه بالتدخل في حرب الخليج، وفي اليوم الثاني من موافقة الكونجرس أصيبت إسرائيل في عقلها، إذ ضاعت عليها الفرصة الذهبية بالسيطرة على منابع البترول.

كان الأمريكان لا يتوقعون أن يهاجم صدام المملكة؛ ولذلك لم يكن لديهم مانع من تدخّل إسرائيل. ولكن لما علموا بصلاته بإسرائيل ومذاكرتهما بمعاهدة عدم اعتداء، ورأوا حشده (١٥٠) ألفاً على الحدود الكويتية من جانب الفاو، مع (٢٠٠٠) دبابة، وحفره الخنادق، وإخراج التراب ليصنع منه حواجز في وجه الدبابات، لما رأوا ذلك كله أيقنوا أن صدام حسين لا يريد الكويت وحدها، بل يريد أكثر من ذلك بكثير.

س كيف موّه صدام على العرب وعلى أمريكا تحركاته المشبوهة وحشوده المكثّفة؟

= لقد وقف العرب إلى جانب صدام في حربه لإيران، وفي مؤتمر القمة الذي

دعا إليه في بغداد استنجد بالعرب وأنجدوه. ولما توقّفت الحرب العراقية الإيرانية بدأت قواته تنتقل من الجبهة الإيرانية وتحتشد حول دول الخليج. وكانت الأقمار الصناعية الأمريكية ترصد تحركات قواته، فتبين لها أن (١٥٠) ألفاً من الجنود بمعسكراتها وإمداداتها تعسكر في الصحراء، وتنقل إليها يومياً كميات هائلة من المياه، فسأله الأمريكان: ما هذا؟ قال: يوجد بيني وبين بعض دول الخليج مشكلات، لكن لن أدخل محارباً إلى بلد. فقالوا: نحن لا نتدخل في مشكلاتكم حلّوها أنتم بأنفسكم. وهدأت أمريكا واطمأنت. وراح صدام يحشد حشداً آخر في شمال المملكة إلى الغرب كثيراً من جهة إيران. وهنا انكشفت نيّاته وبرزت أطماعه.

س ما رأيكم في قبول المملكة بالتدخل الأمريكي في حرب الخليج، وكيف أثبتت المملكة كفاءتها في تلك المحنة؟

= كان الأمريكان محتاجين إلى إحضار نصف مليون جندي إلى أرض المعركة. وما كانوا منتظرين أن تسمح لهم المملكة بذلك. ولو لم تسمح لهم لضغطوا عليها لتقبل الصلح مع إسرائيل، لتكون القوة البديلة. وفي هذه القوة البديلة الشرّ كله. ولو تم - لا سمح الله - لا شتعل العالم العربي كله من مراكش إلى الخليج ووقف ضد أمريكا وإسرائيل، ولاختلط الحابل بالنابل، ولاحترق البترول وآل إلى صدّام. ولكن المملكة أذنت لهم. وأذن الكونجرس. ولما جاءت القوات الأمريكية وجدت تسهيلات وخدمات لا تتسع لها أراضي إسرائيل ولا تقدر على القيام بها؛ ذلك أنها استقبلت ٣٧ دولة غربية بأساطيلها ومعداتها وطائراتها، منها ٤٥٠ ألفاً من الجيش الأمريكي و ١٦٠ ألفاً من بقية الدول الـ ٣٧، يضاف إليها ١٧ دولة عربية وإسلامية، اشتركت في الحشد. لم تضق المملكة بـ ٧٠٠ ألف جندي وبمعداتهم وبمستلزماتهم، ولم يشعر أحد في المملكة

بضائقة في الغذاء وغيره من الضروريات. وما كان يتصور الأجانب الذين حضروا في تلك الأيام إلى المملكة أنها على هذا المستوى العالي من القدرة على تقديم الخدمات والضروريات للأعداد الكثيرة الوافدة إليها؛ لأنهم لم يعرفوا التدريب العملي الذي يتم كل عام في المملكة في عشر ذي الحجة، إذ يفد إلى المملكة الحجاج الذين يبلغ عددهم في هذه الأيام قريباً من مليوني حاج. يهبطون مكة المكرمة، فيجدون فيها طوال مدة إقامتهم السكن والغذاء والفواكه والماء وكل ما يطلبه الإنسان، متوافراً في كل مكان، وبأسعاره العادية المعروفة. وهذا التدريب العملي لاستقبال الحجاج دأبت على القيام به مكة المكرمة منذ خمسة عشر قرناً أباً عن جد، واليوم تنتشر آلاف السيارات لنقل الحجاج، ثم تبقى مهيأة لموسم آخر.

وقد دهش الوافدون من الأجانب من تيسير المواصلات ونصب الخيام وإنشاء المعسكرات، وسائر الخدمات السريعة، ولو نزل هذا العدد في إسرائيل لعجزت عن تقديم الخدمات التي وجدوها في المملكة. ومنذ ذلك الحين انتقلت المملكة في نظر المراقبين من العسكريين من دولة ذات وزن عادي إلى دولة ذات وزن عال في حرب عالمية. لقد قدمت المملكة للقوات ما تحتاجه من تموين ووقود، قدمته لـ٧٠٠ ألف جندي، ولخمسة آلاف طائرة، ولأساطيل خمس وعشرين دولة، ناقلة خبرتها في خدمة الحجاج إلى خدمة القوات المسلحة المرابطة على أرض المملكة، وكما أن أحداً من الحجاج لا يشعر بنقص في الغذاء والماء وسائر المتطلبات، مع أن عدد الحجاج أكبر بكثير من عدد الجنود، كذلك لم يشعر أحد في المملكة بأي نقص في مرافق الحياة في أثناء وجود القوات المسلحة على أراضيها. وهذا ما لا تستطيعه إسرائيل، ولا يمكن أن تقوم به.

٤٨- الهجمة العالمية على الإسلام

س هل لكم أن تحدثونا عن الهجمة العالمية على الإسلام؟ ما أسبابها ودوافعها ومن وراءها؟.

= لقد حرصت إسرائيل على الاشتراك فوراً في القوات المتعددة الجنسيات، وكانت مهيّأة لذلك، ولكن لم تتحقق أمنيتها للأسباب التي سبق بيانها، وأهمها الإجماع في أمريكا على عدم وجوب تدخلها فوراً. وهنا حذرت أمريكا إسرائيل من التدخل؛ ولذلك راحت أجهزة إسرائيل تعمل بنشاط على إقامة ندوات متتابعة في مختلف دول العالم، تحذّر فيها من الإسلام زاعمة أنه أصبح أخطر من الشيوعية. أولى هذه الندوات كانت بدعوة من معهد الشرق الأوسط في واشنطن في نهاية عام ١٩٩١، وهذا المعهد تابع لوزارة الخارجية الأمريكية، وقد اشترك في هذه الندوة خبراء يهود، ومجموعة من أساتذة التاريخ والدراسات المتعلقة بشؤون الشرق الأوسط، كما حضره بعض المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية، وكان عنوان الندوة: أمريكا والإسلام. وكتبت الصحف الأمريكية: كان وراء هذه الندوة وما أعلنته من توصيات منظمة إيباك اليهودية الأمريكية. ولم ينتبه أحد أن في عنوان هذه الندوة رداً على كتابي الذي أصدرته بعنوان أمريكا وإسرائيل في سنة ١٩٩٠.

وبعد شهر عُقِدت ندوة ثانية في بروكسل تحت رئاسة ولي عهد بلجيكا، بعنوان (خدمة البوسنة والهرسك) أنقذوا أخاكم اليهودي من العرب والإسلام. وكان وراء هذه الندوة منظمة (بناي برس) التي هي أكبر من إيباك اليهودية الأمريكية، وقد حضرها كل رؤساء الحكومات في أوروبا كما كتبت الصحف حينذاك. ثم تبع هذه الندوة بعد ذلك بقليل أيضاً ندوة ثالثة في معهد (بيونرفك)

التابع لوزارة الخارجية البريطانية مباشرة. وقد لفت المجتمعون في هذه الندوة الأنظار إلى خطر الإسلام، وقالوا: إنه يُخشَى أن يحلّ محل الشيوعية. ولم تلبث مشكلة البوسنة والهرسك المسلمة أن ظهرت عقب ذلك في قلب أوروبا.

وأعلن زعيم صرب البوسنة والهرسك الحرب الصليبية الجديدة على الإسلام، وأنه الخطر على الحضارة الأوروبية. وثبت علناً أن حركة البوسنة والهرسك الصليبية كانت مدعومة من إسرائيل أيضاً. ومما قيل في هذا أن إسرائيل كانت تمد الصرب بالبترول الذي تحصل عليه من أمريكا.

أما الدافع الثاني لليهود على محاربة الإسلام، وهو الأهم، والذي صعقت له المنظمات اليهودية، فهو وصول الخبر إليهم بأن الإسلام بدأ ينتشر بسرعة في صفوف الجيش الأمريكي الذي جاء لتحرير الكويت، وأنه قد أسلم منهم عدد كبير، وعُيّن لهم إمام يصلي فيهم، وطلبوا أن يعتمروا، فاعتمروا في مكة المكرمة، ولما عاد هؤلاء المهتدون إلى بلادهم توجّهوا إلى الكونجرس الذي جرت العادة في افتتاح دورته السنوية أن يتلى نص توراتي يهودي ثم يتلى نص إنجيلي، فطلبوا أن يتلى نص قرآني أيضاً. وقد عزّزوا مطلبهم هذا بأنهم مواطنون أمريكان مسلمون، ومن حقهم أن يتلى النص الإسلامي في افتتاح الدورة. ونزل الكونجرس عند طلبهم واستجاب، وتُلِيَ النص القرآني في الكونجرس الأمريكي في افتتاح دورته لعام ١٩٩٢ لأول مرة في تاريخ أمريكا. وهذا ما أطار صواب الصهيونية العالمية، وجعلها تتحرك وبغير وعي لإقامة ندواتها الثلاث سالفة الذكر لمحاربة الإسلام وتشويه سمعته في كل من واشنطن وبروكسل ولندن، تمهيداً لإعلان الحرب على دولة البوسنة والهرسك.

ولما انحازت أمريكا في موقفها من البوسنة والهرسك إلى الصرب استقال

ثلاثة وكلاء وزارات في الخارجية الأمريكية، وقامت المظاهرات من الرجال والنساء، ودخلوا إلى البيت الأبيض مطالبين الحكومة بالتدخل العسكري لصالح البوسنة والهرسك.

وأدى تناقض أمريكا في سياستها مع اليهود والمسلمين إلى ردة فعل لدى كثير من الأمريكان وغيرهم من مختلف الطبقات الاجتماعية، رجالاً ونساءً، فسارعوا إلى إعلان إسلامهم في الولايات المتحدة وإنكلترا وألمانيا، وخصوصاً في إنكلترا، حيث أسلم عدة آلاف من الرجال والنساء، وكذلك في ألمانيا حيث أسلم عدة آلاف بعد صدور كتاب هوفمان سفير ألمانيا السابق في المغرب الذي أسلم، وعنوان هذا الكتاب (الإسلام سنة ٢٠٠٠).

وكان من أثر ردة الفعل على التهجّم اليهودي على الإسلام كلمة السيدة تاتشر الأولى منذ أشهر في الدفاع عن الإسلام، ثم أعقبها بعد قليل خطاب ولي عهد بريطانيا في جامعة أكسفورد وبدعوة من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية الذي يعدّ الأمير تشارلز ولي العهد راعياً له.

وبعد شرح الدوافع الأساسية التي دفعت الصهيونية العالمية إلى ذلك التحرك الإعلامي العالمي ضد الإسلام، يسرني أن أشيد بكلمة رئيس المعهد العربي الأمريكي الدكتور جيمس زغبي الذي أسقطته اليهودية العالمية في الانتخابات الأمريكية، وهي الكلمة التي نشرتها جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٩٧/٧/١٤، بعنوان: (حرب بعض الصحف الأمريكية للإسلام) وقد صرح في كلمته بأسماء الصحف الأمريكية، وأن أولاها صحيفة الواشنطن بوست، وثانيتهما النيويورك تايمز، ودعا إلى ضرورة التعريف بحقائق الإسلام التي شوهها أعداء الإسلام في أمريكا وفي كل مكان، مع أنه مسيحي.

٤٩- اقتراح لرد الهجمة العالمية على الإسلام

وعلى ضوء ذلك كله أرى مع السيناتور جيمس ضرورة التعريف بحقائق الإسلام، ووجوب إيصال ثوابتها الحضارية والحيوية الإنسانية العظيمة إلى الرأي العام الأمريكي، تلك الحقائق والثوابت التي يجهلها الغرب، والتي يقوم عليها الإسلام، وأن يكون ذلك التعريف بكل وضوح وبكل إيجاز مستمداً بجملته من دعوة القرآن الكريم الصريحة إلى الحياة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ إنها دعوة صريحة واضحة مقتضبة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي القاسم المشترك لدى دعاة الإسلام، والمنطلق الأساسي للعمل ولبحث مختلف الموضوعات في المؤتمرات الإسلامية من غير خلاف.

ولابد من الرؤية الواضحة لمبادئ الإسلام ومنطلقاته يجتمع عليها الدعاة في كل مكان. وهذا ما أوجزته للصحافة الأجنبية الكبرى والتلفاز الإسباني عام ١٩٩٢ بمناسبة افتتاح المركز الإسلامي ومسجده الكبير في مدريد.

وقد كان لوضوح الفكر الإسلامي الحضاري الإنساني أطيب الأثر في نفوس المجتمعين في مدريد.

وقد أوجزت ثوابت رسالة الإسلام العالمية في النقاط الآتية:

١- إن رسالة الإسلام في صميمها دعوة عالمية إلى الإيمان بالله، خالق السماوات والأرض، وهي على وجاهتها، لا تكره أحداً على اعتناقها؛ إذ ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ كما في صريح القرآن الكريم، ولكنها تلزم جميع الناس بحقيقة لا استثناء فيها، وهي: «**أن الخلق كلهم عيال الله، وأن أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**». وأن الناس كلهم مسؤولون عن ذلك مسؤولية لا مناص منها ولا خيار فيها.

وبذلك نقل الإسلام الناس من قومية الأديان المتناحرة المختلفة إلى عالمية الإسلام الإنسانية لأمم متعارفة متآلفة متعاونة على الأمر بكل ما عُرِف خيره للإنسانية، واستبعاد واستنكار كل ما عُرِف شرُّه على الإنسانية، وذلك من أجل أن يعم السلام في الأرض، وينعدم الإفساد فيها. وتعلن عقيدة الإسلام أن كل إنسان عمل خيراً يراه أمامه ويجزى عليه خيراً، وكل من عمل شراً يراه أمامه ويُجازى عليه. وذلك مفهوم قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾.

٢- إن رسالة الإسلام دعوة عالمية إنسانية للتعارف والتعاون على الخير، كما في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾. فهي دعوة إلى مختلف الأمم والشعوب والأوطان والأديان إلى التعارف والتعاون على البر والتقوى والعمل الصالح، لإيجاد حياة كريمة طيبة لائقة بالإنسان الذي كرّمه الله واستخلفه في الأرض، ولا تمايز فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

٣- إن الخطاب في هذه الدعوة والعقيدة إنما هو للعقل؛ ولذلك نوّه القرآن الكريم بالعقل، وأشاد بالذين يعقلون، كما في قوله تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾، وقوله: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾. وعدّ الذين لا يعقلون صماً وبكماً وعمياً، فقال: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾. وقال: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾. وقال: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ** ﴾.

وجعل الإسلام الحوار في العقيدة والدعوة بالعلم وبلغة الحياة وبالقول الحسن: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾. ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.

وهدف الإسلام من هذه القِيَم الثوابت أن يجعل الناس متآخين متضامنين متكافلين، قادرين على تحقيق أطيب الآمال، ومعالجة جميع الآلام.

وليس علينا بعد ذلك إلا أن نعمم ثوابت الإسلام هذه في أسطر معدودة، تُعلّق في جميع المراكز الإسلامية، وفي سفاراتنا مترجمة إلى اللغات الأجنبية الكبرى العالمية، بحيث يحيط القارئ علماً بثوابت الإسلام في لحظات، وأن تقوم عليها بعد ذلك جميع المؤتمرات الإسلامية، وتنطلق منها في معالجة جميع قضايا الإسلام والإنسان في كل مكان.

ولا ننسَ أن نجعل يوم افتتاح مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية يوماً مشهوداً، نعلن فيه تلك الثوابت الإلهية العالمية والإنسانية في رسالة القرآن للناس، من أجل تحقيق السلام في الأرض، ورسالة القرآن وحدها هي التي تضع قواعد النظام العالمي الإنساني الجديد المنشود اليوم. وهي الطريق لتحقيق ما وعد الله به رسوله والمؤمنين، إذ قال: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً** ﴾. وهذا ما راحت بعض الدراسات العلمية العالمية الحديثة تشير إليه، وبخاصة كلمة السيدة (روبين راين) الباحثة في الحركات الإسلامية في المغرب، إذ قالت في دراسة أخيرة لها نشرت في شباط ١٩٨٨، ونقلتها مجلة المجلة الصادرة في الشرق الأوسط، وأكّدت الباحثة فيها أن الإسلام سيصبح أهم (الأيدولوجيات) في العالم في نهاية القرن العشرين، وإنا بذلك لمؤمنون.

وحول ما يمكن عمله في المؤتمرات الإسلامية أرى أن تُدعَى نخبة من كبار علماء العالم الإسلامي لحضور افتتاح مجلس الشورى، ثم يعقدون مؤتمراً إسلامياً لمدة يومين للتعريف بحقائق الإسلام وثوابته، وتكوين رؤية واضحة لهذه الحقائق والثوابت، وتعجبني عبارة في التوراة تقول: «إذا لم يكن لدينا رؤية واضحة فيما نعتقد هلك الناس».

ويعلن العلماء في هذا المؤتمر تلك الرؤية الواضحة للإسلام وحقائقه وثوابته الإنسانية العالمية، وأن ما عداها جهل بالإسلام وافتئات عليه. ثم يتجهون لمعالجة مشكلات قطرين إسلاميين عزيزين على الإسلام والمسلمين، هما الجزائر ومصر، تلك المشكلات التي اتخذ منها أعداء الإسلام حجةً كاذبة، فوصفوا الإسلام بالإرهاب والإخلال بالأمن ومعاداة السلام، وقالوا: هذا هو الإسلام. وواجب العلماء في هذا المؤتمر أن يعلنوا بالإجماع للعالم ثوابت وحقائق الإسلام العالمية الإنسانية التي تنافي تلك الأوصاف، وأن الأمر بالمعروف يكون بما عُرف خيرُه، وأن النهي عن المنكر لا يجوز بحال من الأحوال بارتكاب منكر آخر يؤدي إلى الفوضى والإخلال بالأمن وإراقة الدماء البريئة، فهذا كفر بالإسلام وصد عن سبيل الله بصريح القرآن والسنة. وقد يكون من المستحسن بعد ذلك أن يُؤلَّف، إن أمكن، وفد من كبار العلماء ممن توضّحت لهم الصورة، يزورون المعتقلين في القطرين المذكورين بإذن وموافقة المسؤولين فيهما، ليشرحوا للشباب المندفع حقيقة الإسلام وثوابته التي تناقض تصرفاتهم الطائشة، وعسى أن يجعل الله في ذلك مخرجاً وفرجاً، ويكون ذلك، إن تحقق، باكورة طيبة لمجلس الشورى في المملكة العربية السعودية، وسجلاً ذهبياً في تاريخ المملكة، ومأثرة خالدة، تضاف إلى مآثر خادم الحرمين الشريفين.

إن الإصلاح لا يكون دون إمام. وقد أجاب الرسول ﷺ الرجل الذي سأله عما يفعل إذا لم يستطع الإصلاح: «**إن لم تستطع فعليك بخويصة نفسك**». ولقد كان الرسول ﷺ يمر على آل ياسر، وهم يعذبون فيقول: «**صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**». فالفرد يقدم على الإصلاح إن كان قادراً عليه. أما إذا كان غير قادر، فلا يُسمحَ له بالقيام بأي عمل إصلاحي؛ لأنه سيفسد أكثر مما يصلح، ويوقع الاضطرابات والفوضى. ومن هنا كان من غير الجائز الخروج على الإمام أو رئيس السلطة في حالة عدم استطاعته التغيير. ويُكتَفى في هذه الحالة أن تُنكِر المنكر

بقلبك أما أن تأتي وتتعرّض للناس الآمنين، فتعطّل السياحة، وتخيف المصطافين أو تغتال أحداً من المسؤولين، فهذا كله ليس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولقد بيّن الرسول ﷺ القاعدة الشرعية في هذه المسألة بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

س **إن مشكلة الجزائر في أن الناجحين في الانتخابات سُلِبوا حقهم في قيادة الشعب، وقامت السلطة العسكرية ضدهم؛ ولذلك يعدون أنفسهم مظلومين.**

= أنا معك، لقد أخطأت السلطة العسكرية حين فعلت ذلك، ولكن ما الحل؟ ليس الحل الخروج على هذه السلطة إذا كنت ليس قادراً على تغييرها. بل الحل الصبر والمصابرة حتى يملك أصحاب الحق القدرة على التغيير.

ثم إن الإخلال بالأمن يهدد حياة الإنسان وحقوق الإنسان، والإسلام بقي ثلاث عشرة سنة يعالج حقوق الإنسان، ويدعو إلى صيانتها، ففي سورة الماعون يقول الله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾. ثم يقول: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾.

إن هذه السورة تدعو إلى صيانة حقوق الإنسان، وإلى كفالته وإسعافه وحفظ حياته.

ويقول في سورة البلد: ﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾. وهذه الآيات مكية. والسؤال فيها عن الإنسان، ومسؤوليته عن حياة أخيه الإنسان. وهذا دليل على حفاوة الإسلام بحياة الإنسان وحقوقه منذ أيامه الأولى.

وخيرية هذه الأمة منحصرة فيما تقدم من خير للإنسانية، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. فما هو المعروف؟ هو خير. وما هو المنكر؟ هو شرّ والأعمال الصالحة خير ينعكس على حياة الإنسان، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. و«**الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**». ولما سأل هرقل أبا سفيان عمّن يتبع الرسول ﷺ قال أبو سفيان: الفقراء. وفي جوابه دليل على أن الرسول أعلن حقوق الإنسان منذ اليوم الأول لدعوته، والتفَّت حوله جماهير الناس. وعندما جاءه الوحي، وعاد إلى بيته خائفاً مذعوراً، يقول: زمّلوني زمّلوني، أحاطت به السيدة خديجة وهي تقول: «والله لا يخزيك اللّهُ أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». وهذه هي مفاهيم حقوق الإنسان التي اتصفت بها شخصية الرسول ﷺ قبل الإسلام، وحرص على إعلانها بعد الإسلام.

ودخلت كتابية على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكت إليه حالها وما هي فيه من بؤس وشقاء. فأحسن استقبالها، واستمع إليها وأعطاها ما لم تكن تحلم به. فقامت من عنده مودّعة شاكرة. فلما مضت قال عمر في نفسه: لقد أنقذتها من البؤس في الدنيا، فَلأُ سرع وأنقذها من عذاب الآخرة، فلحقها إلى الباب وقال لها: يا أمة الله، ألا تسلمين؟ قالت: أما هذه فلا. ويقول راوي هذا الخبر: فلم يُرَ عمر غاضباً على نفسه مثل ذلك اليوم، إذ خشي أن يكون قد استغل عطاءه لهذه المرأة الكتابية حين دعاها إلى الإسلام، فتكون دعوته بذلك نوعاً من الإكراه. ولا إكراه في الدين.

٥٠- دور الإسلام في نقل الإنسانية إلى عالمية متعارفة

الجديد الذي أوجده الإسلام في تاريخ الإنسانية أنه نقلها من عالمية متنافرة متناحرة متحاربة، لا تفهم معاني الإنسانية، نقلها إلى عالمية متعارفة متعاونة متلاقية، يشهد لذلك ما دار في حرب نجران التي امتدت مئة وعشرين سنة، وكانت حرباً دولية شرسة، يريد المتحاربون إنهاءها فلا يستطيعون، حتى جاء الإسلام، فوجد اليهود لاجئين في المدينة، يتخوفون أن يأتي الرومان إلى المدينة ليحرقوهم، فحماهم الرسول ﷺ.

أما النصارى فكانوا في اليمن تحت حكم الحبشة، خاضعين جميعاً للدولة الرومانية، التي كانت مسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط، حاكمة جنوبي أوروبا وشمال إفريقيا وغرب آسيا. وقد سار إليهم ذو نواس بجنده ودعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فحفر لهم الأخاديد وأجج فيها النيران وحرّقهم بها، وقد ابتدأت هذه المحرقة سنة ٥٢٣ قبل عصر الرسول ﷺ؛ لأن الرسول وُلِد سنة ٥٧١م. وقد قُتِل في هذه الحرب نحوُ عشرين ألفاً. ففي ذي نواس وأصحاب الأخدود نزلت سورة البروج، وفيها قوله تعالى: ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ** ﴾.

وهكذا كان الصراع بين الرومان واليهود، وظلت الدولة الرومانية تضطهد اليهود، ولم يجدوا الأمان في المدينة إلا في ظل الإسلام.

وبقيت المذابح بين اليهود والنصارى تقوم بين حين وآخر حتى تغلبوا عليها في الفاتيكان، إذ أمروا بوقف لعن اليهود، وبرّؤوهم من قتل المسيح، مع أن التوراة تقول: إن الذي ارتكب منهم الخطأ يُلعن لأربعة أجيال. وعندما زرت البابا قلت له: إن

جريمة اليهود لا تزال قائمة؛ لأنهم يتهمون السيدة مريم بالزنى، ويعدونها زانية، وأن المسيح ابن زنى، فجريمتهم ليست في اتهامهم بقتل المسيح، وإنما هي في رمي السيدة مريم بالزنى.

وفي مدريد قلت للنصارى: إن الإنجيل يقول على لسان المسيح: إنما أرسلت إلى خراف بني إسرائيل الضالة. ولقد قال لكم المسيح: عليكم أن تنتظروا البارقليط، أي المنقذ الذي لا يأتي حتى أذهب، وهو يمجدني ويدافع عني، ويقول لكم ما لم تستطيعوا أن تفهموه عليّ. وقلت للبابا: قل لي: هل جاء دين بعد ألفي سنة يمجد المسيح ويطهر مريم غير ديننا. فأجاب: أتطلب مني تعطيل الإنجيل؟ قلت له نحن نفهم ما يقوله القرآن: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾. وأنتم تعترفون أن الإنجيل أصابه تغيير وتبديل، وليس عندكم نصوص ظاهرة واضحة لم يصبها التحريف.

نحن المسلمين ندافع عن مريم والمسيح عليهما السلام، واليهود يهاجمونكم، ويرمون السيدة مريم بالزنى، ويدعون ابنها ابن زنى، ومع ذلك لا تتوقف حملاتكم التنصيرية في بلاد المسلمين. وبعد عدة أيام جاء الجواب: لقد أوقفنا التبشير.

وفي أثناء عودتنا من الندوة في مدريد قلت لهم: لقد قلتم إن قراراً بتوقيف التبشير قد صدر، ولكنكم حتى الآن لم تتوقفوا، وتطالبون أن نتعاون معكم، فكيف نتعاون معكم؟ إننا نقف عند قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. ولا نفكّر بإكراهكم. ولا يوجد دين يدافع عن مريم والمسيح، ويبرّئهما من الزنى غير ديننا الإسلام.

٥١- الإسلام والإنسانية وحقوق الإنسان

س يقول بعض الناس: إن كلمة الإنسانية التي عرفت في عصر النهضة ترادف كلمة الماسونية؛ ولذلك يعترضون على القول بأن في الإسلام إنسانية خشية الالتباس بالماسونية. فما قولكم في هذه القضية؟

= الحركة الماسونية لم تظهر بوضوح إلا بعد الحرب العالمية الأولى. وبعد الحرب العالمية الثانية تكلم كثيرون عن حقوق الإنسان في الحياة، وأنه لا يجوز أن يقع عليه ظلم من غيره. ولكن هذه الأفكار لم تطبق في الأمم المتحدة ولا في غيرها. ومادة حقوق الإنسان أخذوها من الثورة الفرنسية في آخر القرن الثامن عشر، إذ كانت الأراضي مملوكة للحكام، والنظام الإقطاعي يمتلك البشر أرقاء، فأصدرت الثورة الفرنسية وثيقة حقوق الإنسان، أعلنت فيها أن الإنسان يولد حراً، ولا يجوز أن يستعبد.

وهذه المادة نفسها هي مأخوذة من قول عمر بن الخطاب: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». وقد أخذها جان جاك روسو وأدخلها في العقد الاجتماعي الذي أصدره.

يقول الأمير عادل أرسلان: إنه كان يهتم بالتاريخ، وذهب مصادفة إلى كورسيكا حيث مولد نابليون بونابرت، وزار الكنيسة هناك، وفيها الولادات مسجلة، فنظر فرأى أن أم نابليون عربية موريتانية. ثم مشى في شوارع جنيف بعد ذلك فرأى شارعاً اسمه شارع أبو زيد فسأل لماذا سمي بأبي زيد؟ فلم يجبه أحد. واسترعى انتباهه وأثار اهتمامه تسمية هذا الشارع الطويل العريض بأبي زيد، فسأل، وتابع السؤال، فنصحوه أن يذهب إلى البلدية، ففيها سجل لولادات الشوارع ووفياتها كالسجل المدني. إذا وُلِد الشارع فما سبب

ولادته. وإذا توفي ووُضِع اسم آخر له فما سبب وفاته. وذهب إلى البلدية. فقال له موظفوها: هذا أبو زيد رجل جزائري مسلم هو أستاذ جان جاك روسّو. ومن هنا اتضح أن جان جاك روسّو أخذ قول عمر بن الخطاب السابق الذكر «متى استعبدتم الناس...» من أستاذه هذا أبي زيد، وانطلق يتكلم في حقوق الإنسان، وأصدر عقده الاجتماعي الذي ينص على أن الحاكم والسلطة والناس جميعاً متساوون في كونهم أحراراً.

وهذا شيء جديد على أوروبا، أن الإنسان حر، لا سيد ولا مسود، له الحق أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سواء أكان رجلاً أم امرأة كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾. في حين لم يكن للإنسان الحق في نظام الإقطاع أن يتكلم بحرية. والمرأة في التاريخ القديم تحت الوصاية لا ترث.

ومن هناك كانت هذه المفاهيم جديدة لا يعرفها الغرب، وأول ما ظهرت فيه على يد جان جاك روسّو، إذ أعلن أن الناس جميعاً متساوون، وأن الدولة تأتي نتيجة عقد اجتماعي. وهذه المفاهيم ما كانت معروفة إلا في الإسلام، وقد انتشرت عن طريق إسبانيا، وأخذها روسو عن أستاذه أبي زيد. وقد جرّتني المصادفة في قراءاتي عن الثورة إلى معرفة هذه الحقيقة، واطلعت عليها بعد ذلك فيما قال روسّو. ثم اطلعت على ما قاله الأمير عادل. فالعقد الاجتماعي إذاً أخذ فكرته روسّو من الإسلام. وأذكر أني حضرت اجتماعاً سنة ١٩٣٩ وأنا طالب قبل الحرب بشهرين حضره الفرنسيون للاستعداد للحرب، وقد خطب فيه ليون بلوم في قاعة جامعة السوربون، وقال: عمر بن الخطاب إله العدل.

ودخلت بيت صديق من الكونتات، فوجدت فيه محراباً، فقلت له: ما معنى وجوده؟ قال لي: هذا تقليد معماري، وهذا من أثر الهندسة الإسبانية المعمارية.

س **كنا في قرية في إيطاليا على بحيرة كومو، فحدثنا أحد الطلاب العرب فقال: توجد قريتان في الجبال الإيطالية العالية، اسم إحداهما دمشق، والثانية حمص. فهل معنى هذا أن المسلمين كانوا هناك من الشام حتى سموا بهذين الاسمين؟**

= أنا رأيت قريتين متجاورتين في غرب باريس، اسم إحداهما حيان، واسم الثانية سنان. وهما اسمان لأخوين في الجاهلية، تفرعت عنهما قبائل حيان وسنان. وقد اكتشفتهما أثناء تجولي في غرب باريس، ولم أتمكن تحقيق تسميتهما إلا بعد مجيئي إلى هنا سنة ١٩٦٤، إذ عدت إلى هناك وتحققت من ذلك. وهما في منطقة جبلية فيها اصطياف وسياحة، ومعروف أن الشعب السناني هناك ليس فرنسياً، وإنما جاء من الشرق وهو على حضارة راقية وبنى مدينة سانس قبل المسيح بثلاث آلاف سنة.

س **هل في الكتاب الذي أصدرتموه للوفد الأوروبي تعرض لحقوق الإنسان في الإسلام؟**

= فيه المحاضرات كلها التي ألقيتها عن حقوق الإنسان في الفاتيكان وجنيف وستراسبورغ. وفي ستراسبورغ دعانا مجلس الكنائس العالمي من أجل التعاون في الحقوق الإنسانية. وقلت للفاتيكان: إن حقوق الإنسان حسب القانون إما اقتصادية وإما سياسية، فهل نبحث فيهما؟ فقالوا: لا. قلت: لم يبق إلا الحقوق الثقافية. أنتم تقولون: المسيحية تعطي الحقوق الثقافية. وأنا أقول: الإسلام يعطي الحقوق الثقافية. نحن عندنا: «طلب العلم فريضة» وأنتم عندكم: «لكل إنسان أن يتعلم».

وهناك فرق بين التوصية بالعلم، وبين جعله فريضة. ومن هنا كان العلم في الإسلام من حقوق الإنسان الثقافية. إلى جانب الحقوق الاقتصادية والحقوق السياسية والحقوق الاجتماعية. وليس هناك تعبير أدق وأحسن في هذا المجال من قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... ﴾. وقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾.

٥٢- عودة إلى أزمة الخليج (خلفية الأزمة)

س نرجو أن تحدثونا عن رأيكم ومرئياتكم في أزمة الخليج؟

= أزمة الخليج لا يمكن أن تفهم إلا ضمن إطار إيجاد إسرائيل في المنطقة، لإحداث اضطرابات وبلبلة في المنطقة العربية، وردّها إلى دويلات متفرقة مضطربة، بحيث لا يكون لديها وقت للتفكير والتخطيط. ولديّ وثيقة أذيعت أخيراً من بعض الإذاعات الإقليمية في أمريكا، فيها ما يشيب له الأطفال من إثارة مشكلات الأقليات، وإنشاء دويلات لها في المنطقة العربية، تقوم دولة للعلويين، ودولة للموارنة، ودولة للشيعة، ودولة للدروز. وقضية الخليج جزء من هذا المخطط.

س ما هي الوثيقة التي تثبت ذلك؟

= هناك نص وثيقة إسرائيلية، أعدها الجيش الإسرائيلي في الخمسينيات. تتضمن وجوب بذل الجهود لإيجاد الشقاق الديني بين العرب، وإنشاء دول جديدة في المنطقة، ووجوب الاستيلاء على أراض ذات أهمية جوهرية تسدّ الحاجة لإقامة دولة درزية، ودولة شيعيّة، ودولة مارونية، ودولة علوية، وبخاصة في اللاذقية، ودولة كردية، ودولة قبطية وبخاصة في مصر، وإيجاد مناطق ذات استقلال ذاتي للأقباط في مصر. هذا على أن توزع الأراضي العربية

التي فيها المنطقة الصحراوية بين هذه الدول الجديدة. أما المناطق العربية الأخرى كدمشق فستبقى على حالها. وبذلك يدخلون في مخططهم جبل حوران والمنطقة الجنوبية في مصر وجنوب العراق، وجنوب السعودية.

س أين صدرت هذه الوثيقة؟

= أذيعت هذه الوثيقة في واشنطن في إذاعة محلية، ولخصها القسّ الأمريكي جولي فاليوم، وهو يهودي يتظاهر بالمسيحية، أدخله البنتاغون في وزارة الدفاع ليروّج لفكرة النزوح إلى الشرق الأوسط على أساس إقامة دولة إسرائيل، وأن هذا أمر الله كتبه على كل مسيحي. ويتحدث هذا القسّ في كتاباته الإذاعية في برنامج أمريكي عنوانه: ساعة من أزمان الإنجيل، يذاع في ٣٥٠ محطة تلفزيونية إقليمية، و ٥٠٠ محطة إذاعية كل أسبوع، وقد أعطته إسرائيل طائرة نفّاثة خاصة، ينتقل فيها مسافة عشرة آلاف ميل في الأسبوع، وعنده قصر محاط بحراسة دائمة، وعنده ثلاثة آلاف قسيس يتناوبون في استلام ستة ملايين دولار من إسرائيل. وكل هذا لمواجهة العرب والمسلمين. وقد جاء في أحد النصوص المذاعة في الإذاعات الأسبوعية: أن الأرض الموعودة لبني إسرائيل هي: العراق وسورية وتركية والسعودية ومصر والسودان ولبنان والأردن والكويت، فكل هذه الأرض أرض كنعان الموعودة بها إسرائيل ولا مكان للعرب فيها.

س ما مصدر هذه المعلومات؟

= كتاب جديد مؤيد بالوثائق اسمه (انتحار شمشون) للمهندس حسني إبراهيم، وهو مهندس في الأسلحة، وقد قرأت فيه نصوصاً بالمصادفة منذ بضعة أشهر.

إن إسرائيل وراء أزمة الخليج، وتوجد اتفاقية سرية بينها وبين أمريكا على أن تكون إسرائيل رأس حربة دائمة في الشرق الأوسط، للمبادرة بالعمل

المطلوب قبل أن تجيء أمريكا؛ ذلك أن أمريكا بعد خسارتها في فيتنام وانسحابها منها في مساومات مع السوفييت، قرر الكونجرس أنه لا يجوز لأمريكا أن تشترك في حرب بعد الآن. ومن هنا تم الاتفاق مع إسرائيل على أن تكون رأس حربة لها في الشرق الأوسط؛ ولذلك ألحقوها بالحلف الأطلسي. حتى تكون مستودعات الأسلحة عندها، لا تحتاج إلى طلبها، وهي تتطلع إلى أن تصل حدودها إلى الخليج، وشجعت إسرائيل صدّاماً على تهوراته.

وصدام بعد أن فتحت له الأبواب، وصار لديه سلاح وصواريخ وأموال وحاز على السلاح الكيماوي الثنائي، راح يهدّد ويتوعد في حرب الكويت بحرق ثلث إسرائيل، حتى سورية لم تنجُ من تهديداته لأن على رأسها خصماً له. وهنا تحركت إسرائيل وراحت تطالب بأسلحة جديدة وإمكانات جديدة، وهاجم الكونجرس العراق، فاستنجد العراق بالعرب. وما كان أحد من العرب يريد الذهاب للاجتماع به، ولكن الملك فهد أصر على الذهاب، فاجتمع العرب وأيّدوه، واتخذوا قرارات في ذلك، وهاجموا الكونجرس. وفي اليوم التالي صدرت صحيفة بريطانية تقول: إن تهديدات صدام ليست لإسرائيل، وإنما هي تهديدات للعرب، فهو يريد أن يبرز قوته. فقد جمعهم في تموز وأيدوه، وقام بهجومه على الكويت في ٢ آب. ضرب صاروخاً واحداً على منطقة صحراوية في إسرائيل، في حين وجّه صواريخه إلى السعودية وضرب الرياض وهدّم قسماً من مبانيها. فإسرائيل كانت تأمل أن تتدخل بمجرد طلب من أمريكا، بوصفها رأس حربة مستعدة للتدخل، مستفيدة من هذا التدخل لتسوية وضع الجاسوس الإسرائيلي (بولارد) على وزارة الدفاع الأمريكية الذي حكم عليه في أمريكا بالسجن مدى الحياة، وكانت فرصة لإسرائيل أن تدخل على الخط وتوظف الأحداث لمصلحتها بدفع صدام إلى تلك المغامرة.

لقد ابتدأ صدام ينقل الصواريخ من حدود إيران إلى حدود الكويت بعد توقف الحرب مع إيران، نقلها إلى منطقة الفاو، وجاء بمئة وخمسين ألف جندي معها. ولما سألته السفيرة الأمريكية عن سبب هذه التحركات العسكرية والتحشيدات أجابها بأن بيننا مشكلات نريد حلها دون حرب. وقالت له: نحن لا نتدخل في مشكلاتكم الذاتية؛ ولذلك نشرت الصحف في ذلك الحين أن جواب السفيرة هذا كان بمثابة الضوء الأخضر، أعطته لصدام بالهجوم على الكويت. وبعد أن جمع العرب، وأعطى وساماً للملك فهد، وعقد معاهدة عدم اعتداء، انقضّ على الكويت، وكانت إسرائيل مؤملة أنها هي المجهّزة لتتحرك في بضع ساعات.

س لكن المعروف أن الملك فهد ما وافق على مجيء أمريكا إلا بعد الاعتداء على الكويت.

= لا، كانت موافقته عندما علم بالحشود، وجاءت القوات الأمريكية قبل الاعتداء. ولما حصل الاعتداء كانت القوات الأمريكية موجودة، ولكنها ما كانت مهيأة، وإسرائيل كانت تنتظر أن يُطلبَ منها المبادرة لمواجهة هذا العدوان.

كانت القضية قضية بترولية خطيرة؛ ولذلك اجتمع الكونجرس في ساعات وأذن لأمريكا بالتدخل، فأصيبت إسرائيل بخيبة أمل كبيرة، وأرادت أن تشترك في القوات المتعددة الجنسيات؛ لأن جميع الدول التي شاركت لم تكن مهيّأة لجمع ٦٥٠ ألف جندي. ووقع العدوان، ولم تكن هناك دولة مهيّأة لخوض الحرب غير إسرائيل. ولكن أمريكا فوتت على إسرائيل الفرصة بالتدخل خشية أن تشتعل الحرب مع العرب جميعاً إذا تدخلت إسرائيل. وقال بوش لإسرائيل: لا، وأنذرها.

س هنا السؤال: هل عدم اشتراك إسرائيل كان بمبادرة من أمريكا؟ أوأن المملكة طلبت ألا تتدخل إسرائيل كيلا يتهم صدام خصومه من الدول العربية بالاعتماد عليها في مواجهته؟

= كان مفهوماً عند الأمريكان أن تدخّل إسرائيل، ولو مع القوات المتعددة الجنسيات، سيشعل حرباً في العالم العربي كله؛ ولذلك منعت إسرائيل من الاشتراك.

كانت إسرائيل تعلم أن أمريكا لا تستطيع الدخول في حرب إلا بإذن الكونجرس، وبما أن الكونجرس بيد اليهود، وبناء على الاتفاقية الإستراتيجية بين إسرائيل وأمريكا أن تكون إسرائيل رأس حربة في المبادَرة، وانظر إلى كلمة المبادرة المقصودة هنا، كانت إسرائيل متأمّلة أنها هي التي تُحدِث الحادث، وتكون هي المبادرة، وبخاصة أن العرب محتاجون إليها، فهي إذاً يمكن أن تحتل بغداد، وتضرب هنا وهناك. ولكن أمريكا رأت أن العدوان على الكويت، وأن التحشيدات على السعودية، وأن الموقف خطير ويحتاج إلى تدخّلها هي بالذات.

لم يعد الموقف ضد العراق فحسب، فعندما تشترك إسرائيل سيضعف خصوم صدام. والقضية خطيرة وليست هناك وقت للمذاكرة أو التردد، والأمريكان يعرفون الرأي العام العربي؛ ولذلك حذّر بوش إسرائيل من التدخل في الحرب، حتى بعد أن ضربها صدام بصاروخ حذّرها الأمريكان من التدخل أو الردّ عليه.

ولما بدأت الجيوش تأتي، وكان العدوان قد حصل، كنتُ في ستراسبورغ في المجلس الأوروبي، فهتف لي الدكتور عبدالله التركي، وأبلغني طلب الملك فهد بالدعوة إلى عقد اجتماع للمؤتمر الإسلامي بوصفي رئيس المجلس التنفيذي

للمؤتمر. وكان يوم الأحد، وقد أعلن صدام دعوته للمؤتمر الاسلامي لينعقد في بغداد يوم الأربعاء، ودعا إليه أشخاصاً آخرين من غير أعضاء المؤتمر، وكان علينا أن ندعو المؤتمر كما أراد الملك فهد إلى انعقاده في مكة المكرمة يوم الأربعاء. فقلت لعبدالله التركي ليس هناك وقت، ولن أستطيع الوصول إليكم وتوجيه الدعوة قبل يوم الأربعاء، وليس عندي جهاز فبادروا إلى الدعوة باسمي، وأنا سأبذل جهدي للعودة إليكم قبل الأربعاء. وكنت في ستراسبورغ يوم الأحد، فسافرت يوم الإثنين ووصلت الثلاثاء، والتقيت بعدالله التركي وعبدالله نصيف في الليل، وفي صباح الأربعاء عقدنا المؤتمر الشعبي الاسلامي في مكة، ووجهنا إلى صدام خطاباً نقول فيه: إنك دعوت إلى مؤتمر أعضاؤه كلهم موجودون هنا في مكة المكرمة، وهذا يعني أنك دعوت أشخاصاً ليسوا أعضاء في المؤتمر، ونحن أصحاب الحق بالدعوة للمؤتمر، فأنا رئيس المجلس التنفيذي للمؤتمر، والمشير سوار الذهب هو الرئيس العام. وقد وُجهت الدعوة باسمي ثم أخذنا موافقة الرئيس العام أيضاً. وألقيت كلمتي الأولى بحضور المشير سوار الذهب، وذكرت فيها ميثاق المدينة الذي بيَّن أن لليهود دينهم ولنا ديننا، ولهم المناصرة.. وذكرت قول الرسول ﷺ في حلف الفضول: «**دعيت إلى حلف في الجاهلية لودعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت**»، لأنه تضمن نصرةالمظلوم على الظالم. ولسنا مع من يقول إن الاستعانة بالأجنبي جائزة للضرورة، بل هي للمناصرة؛ لهم المناصرة وعليهم المناصرة لدفع الظلم. فإذا ما اعتدى مسلم علينا وظلمنا جار لنا أن نرد عليه ونستعين بأجنبي لرد العدوان ودفع الظلم.

س **الاعتراض هنا يأتي من أنه لا يجوز أن نستعين بمشرك على مسلم.**

= هذه الاستعانة بمشرك لها قصة. وهي أن أحد الأعراب من المشركين جاء إلى

جيش المسلمين يريد أن ينضم إليه ليكون له حصة في الغنيمة، فقال له الرسول ﷺ: «نحن لا نستعين بمشرك». أما هنا فالاستعانة بمشرك لدفع الظلم. والفرق واضح بين هذا وذاك. هنا نحن عاجزون وبحاجة إلى الاستعانة لدفع الظلم. ثم إن الاستعانة بالنصارى لدفع الظلم لا يعني أننا اتخذناهم أولياء كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾. وهذا ما ناقشت فيه أخانا علي الطنطاوي، فقد عدّ الاستعانة بالأجانب ولاية. ولذلك كلفوه أن يقول شيئاً في هذه القضية فلم يقبل واعتذر. قلت له أتمم الآية التي بعدها: ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ** ﴾ فمن الذين يسارعون فيهم؟ المنافقون. المنافقون يسارعون في اليهود والنصارى. يوالونهم ويخبرونهم بأسرار المسلمين.

فهذه الموالاة قد تؤدي إلى التجسس والخيانة، أما الاستعانة بالأجنبي للدفاع عن الوجود فهي غير تلك. ولما أوردت حجتي لرئيس كلية الدعوة في الأزهر قال: كل ما ذكرت ليس معناه أن نستعين بمشرك على مسلم. وعندئذ قمت وناديت: أيها الأزهر، يا مفتي إذا كنت مسلماً وجاء من يهددني من المسلمين ليذبحني، وأنا عاجز عن الدفاع عن نفسي، وجاء كافر لينقذني، أأرفض مبادرة الكافر لإنقاذي، وأدع الظالم يقضي عليّ؟ فقام عندئذ شيخ الأزهر والمفتي، وهاجموا رئيس كلية الدعوة، وكان الشيخ عبدالعزيز بن باز قال: يجوز الاستعانة بالأجنبي للضرورة، فقلت: ليس للضرورة، وإنما لرد الظلم الذي جاء في حلف الفضول، وفيه قول الرسول ﷺ: «**لو دُعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت**». ولقد أرادت إسرائيل أن تدخل الحرب، ولو بوصفها من الدول

متعددة الجنسيات، فمُنِعت، وكانت تريد حل المشكلة على يدها، ويقال في العالم العربي: ما أنقذهم إلا إسرائيل.

ولقد رأيت في كتاب «الإستراتيجية العسكرية الإستراتيجية لعام ٢٠٠٠ في الشرق الأوسط» أن اتفاقية المبادرة لإسرائيل مؤكدة، ولكن الظروف كما رأينا حالت دون قيامها بهذه المبادرة.

س ما هو هذا الكتاب؟

= هذا الكتاب دراسة في مصر مكوّن من ٦٠٠ صفحة، يحتوي على نصوص ووثائق معزوة لمصادرها. وكلها تؤكد أن إسرائيل كانت ضمن المخطط في حرب الكويت، ومسموح لها أن تضرب العراق، وهي مهيّأة لهذه المهمة، في حين لا توجد دولة أخرى مهيأة، وإسرائيل لديها طائرات متطورة، وغيرها من الأسلحة، وكل ما في الجو يوحي بأن لابد من تقدّم إسرائيل لحل المشكلة، ولكن في النهاية أصيبت بخيبة أمل ومُنِعت للأسباب المتقدمة آنفاً.

٥٣- دور إسرائيل في الحرب بين العراق وإيران

س هل هناك تعليق على حرب العراق وإيران؟

= الحرب بين العراق وإيران دخلت فيها أيد إسرائيلية يهودية؛ ذلك أن العلاقات والصداقات والتعاون، كل ذلك كان موجوداً بين الشاه وإسرائيل.

ولما جاء الخميني دعمته إسرائيل، والدليل على ذلك أنه لم يسمح إلا بتأسيس حزبين: الحزب الإسلامي والحزب الشيوعي، مع أن الحزب الشيوعي حلّه الشاه، وكان رئيس حزب توده في إسرائيل، واتفقت إسرائيل مع الحزب الشيوعي الموجود في إسرائيل على التفاهم مع الخميني لحل الجيش الإيراني

الواقف في وجه الثورة الإسلامية وفي وجه الشيوعيين. والدليل على ذلك سماح الخميني للحزب الشيوعي بالعمل في إيران وهذا كله يرضي السوفييت.

كان الاتفاق على التعايش السلمي بين الاتحاد السوفييتي ونيكسون عام ٦٩-٧٠ مقابل شروط، اشترطت أمريكا أن يخرج السوفييت من مصر، واشترط السوفييت أن تخرج أمريكا من فيتنام، كما اشترطوا حلّ الجيش الإيراني الذي كان متوقعاً أن يكون أكبر جيش في المنطقة، وهو الذي يتحمل المبادرة والصدمة الأولى إذا وقعت حرب، وإلى أن تصل الجيوش الأمريكية يكون الجيش الإيراني قد وصل إلى البحر، فتركيا وإيران وباكستان، تشكّل الجبهة الأولى التي تتحمّل الضربة الأولى، وكان الجيش الأكثر تجهيزاً هو الجيش الإيراني، ومن مصلحة إسرائيل حلّ هذا الجيش. ولقد طلب الأمريكان من الشاه حلّه فأبى.

وكانت الأسلحة تأتي إلى إيران من إسرائيل لمواجهة العراق، وهي أسلحة تأتي من مستودعات أمريكا في إسرائيل التابعة للحلف الأطلسي. فلما أخذت إيران أمريكيين رهائن صدر قرار أمريكي بعدم تسليح إيران، ونصح الخميني بني صدر وكان رئيساً لجمهورية إيران بعدم الاعتماد على هذا المصدر للتسليح من إسرائيل، وقد كتبتُ في ذلك الحين مقالة هاجمتُ فيها ريغان، ذكرتُ فيها أن الأمريكان رهائن عند إيران، ومع ذلك تسلّحونها نكاية في العراق! وقد صدر بعد ذلك قرار في الكونجرس بوقف تسليح إيران، بعد أن انكشفت اللعبة.

وهكذا تتدخل إسرائيل، وتلعب لعبتها، وتعرف كيف توظف الأحداث والدول لمصلحتها. حتى إن ريغان كاد يطير في ذلك الحين بعد أن انكشف سرّ تسليحه لإيران عن طريق إسرائيل.

وفيما يلي عرض سريع لما كتبتُه في ذلك الحين: بعد أن أنهيت كلمتي الأولى حول فضيحة إيران غيت والفكر الديني اليهودي التي تكرمت بنشرها جريدة الشرق الأوسط في سنة ١٩٨٧، كنت أرى أنه قد يكون من المفيد لو أتبعتها بكلمة، فيها رسالتان مستعجلتان للرئيس ريغان من التلمود، وذلك بنقل النصوص القانونية الدينية التي لدى كل اليهود... إلخ. غير أنني ما كدت أنهي كلمتي السابقة حول تضليل الفكر الديني المسيحي الذي حمل الرئيس ريغان على الانحياز لإسرائيل بكل سهولة وبساطة ومن غير حذر، وعلى وضع سلطاته جمعها في خدمة إسرائيل، وتنفيذ مخططاتها الإجرامية في الشرق الأوسط، حتى طلعت علينا الصحف في الصباح، تنقل إلينا عن صحيفة الصنداي تلغراف أن التهمة الموجهة لشولتز وزير الخارجية الأمريكية، هي ولاؤه في أداء لعبة السياسة الخارجية وفقاً لقوانين موروثة، وأن من بين هذه القوانين سياسة سلمت دون تدقيق، وكأنها منهاج سياسة، بوجوب الالتزام بعلاقات شرق أوسطية دوماً إلى جانب الحكومة الإسرائيلية؛ ولذلك يقول ريغان: كدت أصاب بالجنون لما انكشف السرّ.

لقد كانت إسرائيل تلعب دورها في الحرب العراقية الإيرانية، ولعبت دورها في الحرب العراقية الكويتية. ومشكلاتنا في الشرق الأوسط منذ وجود إسرائيل تنبع من اقتناعها بأنه ليس للعرب مكان في بلادهم. هم يعملون ونحن نائمون. نحن لا نزال نبحث في أمر تدبير ثلاثين ألف جندي للخليج تكون قوة ردع له، ولدى إسرائيل أربعة ملايين جندي مجهّز في حالة الحرب وفي حالة السلم، كل واحد في إسرائيل عنده بندقيته، يستطيع أن يلتحق بالجيش، بحيث يكون هناك مليون جندي مدرب، يعرف كل واحد قطعته، وأين يجب أن يكون

موجوداً، ففي ساعات تستطيع تجهيز مليون جندي. أما نحن فلا نزال نفكر بإعداد ثلاثين ألف جندي. فماذا يعمل ثلاثون ألفاً أمام مليون؟ وثلاثون ألفاً دون صواريخ، دون طائرات متطورة! وفي الأمس عندما وقّعوا اتفاقيات المبادئ في ١٣ أيلول في واشنطن وفي النهار نفسه يقول كلينتون: إن أمن الشرق الأوسط من أمننا، وأعطى لإسرائيل ٢٧ طائرة متطورة، لا يمتلكها الحلف الأطلسي. إذاً أمن إسرائيل هو جزء من أمن أمريكا، وليس أمن الشرق الأوسط كله. فالتلاعب السري والسيطرة والالتزام بأمن إسرائيل واضح جداً. وآخر اتفاقية إستراتيجية لريغان تنص على أن جميع ما عقدنا من اتفاقيات لصالح إسرائيل لا يمكن تغييرها ولا تبديلها لدى كل الحكومات التي تأتي فيما بعد، بل كل حكومة تأتي يجب أن تصدق عليها كلها. فاليهود متى تدخلوا في أمر حاولوا استغلال الظروف دون معرفة أحد. يقول ريغان: ما رأيت في حياتي سمك القرش مجتمعاً حول حي مثل ما اجتمع في الهجوم الذي صار حولي في إيران في سنة ١٩٧٠ لما انكشف تسليحنا لإسرائيل، حتى أصبحت أسمع صوتي من حلقي بمرارة لما انكشف سر ووترغيت. فاليهود دائماً يتطلّعون إلى حكم العالم، يقول رئيس المؤتمر اليهودي العالمي مناحيم غولدمان في محاضرة له في مونتريال ألقيت عام ١٩٤٧: «لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي بالنسبة لهم، ولكنهم اختاروها، لأن فلسطين تشكل مركزاً عسكرياً إستراتيجياً للسيطرة على العالم». فمشكلاتنا اليوم كلها من لبنان إلى العراق إلى إيران إلى الكويت، وراءها اليهود.

س ما رأيكم في أن إسرائيل هي التي عملت على الإيقاع بين الخميني وصدام؟

= في أثناء الحرب سنة ١٩٨٢ كنت عائداً من مؤتمر في الشرق الأقصى سمعت

بيغن رئيس وزراء إسرائيل يقول: لا أريق دمعاً على الدماء التي تراق بين الإيرانيين وصدام؛ لأن العرب ما داموا يتقاتلون بينهم، أو بينهم وبين غيرهم من المسلمين فلا يمكن أن يشنوا حرباً علينا. إذاً من مصلحة إسرائيل أن تقوم هذه الحرب. لذلك شجعت الخميني على الحرب ضد صدام، وأعطوه أسلحة، وبذلك دخل صدام الحرب، وشُغل العرب جميعاً عن إسرائيل، وهذا ما تريده إسرائيل، وما قاله ريغان.

obeikandl.com